كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم
King Abdullah bin AbdulAziz Chair For The Holy Quran

معهد البحوث والدراسات الاستشارية
Institute of Consulting Research and Studies
شرف التميز في نقل المعرفة

هدايات آية الكرسي وتناسقها الموضوعي

إعداد
أ.د. طه عابدين حمد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

مكتبة المتنبي
AL MOTANABI BOOK SHOP

ⓒ مكتبة المتنبي، 1435 هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

حمد، طه عابدين

دراسات في هدايات آية الكرسي وتناسقها الموضوعي، / طه عابدين حمد - الدمام، 1435هـ

.... ص ؛ .... سم.

ردمك: 978-603-8093-97-9

1-القرآن - آية الكرسي أ- العنوان

ديوي 227,3 1435/7038

رقم الإيداع، 1435/7038

ردمك، 978-603-8093-97-9

جميع الحقوق محفوظة

النسخة الإلكترونية

١٤٤٢هـ-٢٠٢٠م

مكتبة المتنبي
AL MOTANABI BOOK SHOP

الدمام - شارع المستشفى المركزي

هاتف: 8413000/8411395 - فاكس: 8432794

ص.ب : 610 الدمام 31421 المملكة العربية السعودية.

E-mail: mb.book.sa@gmail.com

معهد البحوث والدراسات الاستشارية
Institute of Consulting Research and Studies
شرف التميز في نقل المعرفة

هدايات

آية الكرسي

وتناسقها الموضوعي

إعداد
أ.د. طه عابدين حمد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

مقدمة كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز

للقرآن الكريم بجامعة أم القرىٰ – مكة المكرمة

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسوله وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد شرف الله سبحانه وتعالىٰ أمة الإسلام، فأنزل عليها القرآن، هدىٰ للناس وبينات من الهدىٰ والفرقان، وتكفل المولىٰ الجليل سبحانه بحفظ كتابه الكريم فقال جلا وعلا: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر :٩] وتحقيقًا لوعد الله تعالىٰ، فقد تهيأت الأسباب المعينة علىٰ حفظه، وتنوعت المجالات لخدمته، تعلّما وتعليمًا وبحثًا ودراسةً وتفسيرًا ورسمًا وطباعةً وتوزيعًا ونشرًا، إلىٰ غير ذلك من المجالات.

ولأهمية الدور الريادي الذي تضطلع به المملكة العربية السعودية في خدمة القرآن الكريم، فقد وجّه خادم الحرمين الشريفين وفقه الله بإنشاء كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرىٰ، ليضيف صرحًا علميًا بحثيًا ضمن منظومة متكاملة في خدمة القرآن الكريم

والتي شملت المجمّعات القرآنية، وكليات وأقسام القرآن والقراءات بالجامعات، وجمعيات تحفيظ القرآن، ومراز البحوث والدراسات ونحوها.

وحيث إن ((الدراسات القرآنية)) بحر ممتد، وأفق واسع، مجالاتها متعددة، واحتياجاتها متنوعة، فعلىٰ الرغم مما بذل من جهود علمية وأطروحات بحثية كوّنت للأمة رصيدًا كبيرا من المؤلفات والموسوعات والكتب والأبحاث والرسائل والنشرات والمخطوطات والمطبوعات، إلا أن الإثراء العلمي في المجالات القرآنية باب مفتوح وعطاء ممنوح متجدد في دراساته مع تجدد إعجاز القرآن وتأثيره في القلوب والعقول والأفهام، ورفعة مكانته وعظمة قدره.

ومن هذا المنطلق كان هذا الجهد العلمي الذي أعده فضيلة الشيخ أ.د. طه عابدين طه حمد- أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرىٰ، وبناء علىٰ المنهجية العلمية والمعايير المعتمدة في كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرىٰ فقد تم تحكيم هذا الإصدار من قبل المختصين في المجالات القرآنية، وحيث برزت جوانب التميّز العلمي

في هذه الدراسة يطيب لإدارة الكرسي أن تشارك في تقديمه وإخراجه حتىٰ يعم نفعه للمسلمين، سائلين الله تعالىٰ أن يبارك في مؤلِفه وأن يجزل له الأجر والمثوبة، إنه سميع مجيب.

أستاذ كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز

للقرآن وعلومه بجامعة أم القرىٰ

أ.د/ يحيىٰ بن محمد زمزمي

المقدمة:

الحمدُ لله الحيِّ القيومِ، الملكِ الكبير، العليمِ الحكيم، الغفورِ الودود، العظيمِ الحليمِ، البرِ الرحيم، الجوادِ الكريم، الذي عمَّ فضلُه البريات، وشملَ إحسانُه المخلوقات، وهدىٰ عبادَه إلىٰ نهجِهِ القويم، ووسعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلمًا علىٰ الإجمالِ والتفصيل، ودبرَ كلَّ شيءٍ قدرةً وحُكْمًا، ووسعَ كرسيُهُ السمواتِ والأرضَ، ولا يؤودُهُ حفظهما، وهو العليُّ العظيم، أحمدُهُ حمدًا يُكافئ نعمَه، ويوافي مزيدَ تكريمه، وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، قائمًا بالقسطِ، لا إله إلا هو العزيزُ الحكيم.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَه بالآياتِ والذكرِ الحكيم، ففتحَ به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا، وهدىٰ به من الجهلِ الصميم، صلىَّ اللهُ عليهِ وعلىٰ آلهِ أفضلَ صلاةٍ وتسليم، ومن تبعهُم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

أولًا: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

هنالك عدة جوانب تدلُّ علىٰ أهميةِ هذا الموضوع وسببِ دراسته من ذلك:

١- كثرةُ الأحاديثِ النبويةِ التي وردتْ في فضلِ قراءة آية الكرسي وتعلمها يجعلها محل نظر الباحثين والدارسين والمتدبرين لكتاب الله

تعالىٰ؛ وذلك لعظم ما تضمنته من المعاني والهدايات التي لا يوجد مثلها في غيرها من آيات الكتاب المجيد.

٢- أهمية بيان ما تضمنته من معانٍ؛ فإذا كان أعظم ما في القرآن توحيد الله، وكان أعظم ما في القرآن آيةُ الكرسي؛ كان بيانُ واستنباطُ هدايِتها بيانًا لأعظم ما جاء في القرآن، وهو أعظمُ ما ينتفعُ ويهتدىٰ به، وأعظمُ ما يُؤجرُ عليه تلاوةً وتدبرًا وعملًا.

٣- تمثل هذه الدراسة لونًا مهمًا من أوجه إعجاز القرآن الكريم، لأنها تكشف عن أوجه التناسق الموضوعي بين موضوعات الآية، وكيف جاءت أعظم آية في القرآن محكمة المباني، متسقة المعاني، وهي تعرض حقائق التوحيد وأدلته، بما يؤكد أن هذا القرآن من لدن حكيم خبير.

٤- أن هذا اللون من الدراسة يتميز بميزتين مهمتين في البحث والدراسة:

الأولىٰ: جمع خلاصة ما كتب علماء الأمة، خاصة المفسرين، عبر القرون المتنوعة حول هدايات الآية، وعرضها بصورة ميسرة وواضحة وعميقة ومرتبة في موضع واحد يستفيد منه الباحثون وغيرهم.

الثانية: محاولة استقصاء الجهد في إبراز هدايات الآيات والسور؛ بأوسع قدر من الطاقة، وهو باب لا ينبغي التوقف عنه.

٥- عرض قضايا الإيمان وحقائقه ودراساتها من خلال الخطاب القرآني المباشر جانب مهم لا ينبغي تخلفه في خطاب الأمة، لأن القرآن من خلال خطابه وعرضه للموضوع يخاطب العقل فيقنعه، ويلامس دواخل النفس فيملأها اطمئنانا وإجلالًا، وترقي بك كل كلمة في الآية في جوانب الهداية والإقناع العقلي، والسمو الروحي صورة لا يدرك غورها ولا يحد أثرها، في أسلوب تكامل في وضوحه وعمقه وشفائه وصدقه وجماله وروعته، وتبقىٰ هدايات الآية مع ما أخذ منه فتوحات مستمرة يختص الله بها من يشاء من أهل العلم في كلِّ زمان بما يضفونه من فوائد واستنباطات؛ خلافًا لمن يتعلم العقيدة من خلال من كتبوا فيها بأهداف محددة وواجهوا واقعًا معينًا بأسلوب بشري قاصر.

ثانيًا: الدراسات السابقة:

كتابات العلماء حول هذه الآية كثيرة ومتعددة ومتنوعة خاصة ما جاء في كتب المفسرين؛ ولكن في حدود - علمي واطلاعي - لم أقف علىٰ من أفرد هذه الآية بدراسة وافية تجمع خلاصة ما كتب في هدايتها وتلملم شتاته، وتضيف إليه جوانب أخرىٰ، وتكشف عن التناسق الموضوعي فيها.

ثالثًا: أهداف الدراسة:

يهدف الباحث من وراء هذا البحث لأهداف مهمة تتلخص في الآتي:

١. جمع كل الأدلة الصحيحة التي تبين فضل هذه الآية بما يدفع لقراءتها وتعلمها.

٢. بيان ما في الآية من هدايات ربانية بحسب الوسع والطاقة، وقد ذكرت ما يزيد عن مائة فائدة وهداية.

٣. كشف أوجه التناسق الموضوعي في الآية التي جاءت بأعظم المعاني والهدايات.

٤. عرض تلك الهدايات والمعاني بصورة واضحة ودقيقة ومحكمة تتناسب مع عظم وفضل هذه الآية.

٥. إبراز قضايا الإيمان والتوحيد وفق هدايات القرآن غير المتناهية، مع تفرد كلام الله تعالىٰ في أسلوبه المقنع للعقل والممتع للنفس، وعرض كل ذلك وفق منهج أهل السنة والجماعة، خلافًا لما ذهبت إليه بعض الفرق المنحرفة عن الحق والهدىٰ فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وأفعاله.

رابعًا: هيكل الدراسة:

قد قسمت هذا البحث إلىٰ مقدمة، وخمس مطالب وخاتمة.

جاء الحديثُ في المطلب الأول: عن فضلِها.

وفي الثاني: عن مناسبتِها لما قبلها وما بعدها.

وفي الثالث: عن المعنىٰ الإجمالي لها.

وفي الرابع: عن فوائدِها وهداياتها.

وفي الخامس: عن تناسقِها الموضوعي.

ثم الخاتمة التي شملت: أهم النتائج والتوصيات.

سائلين اللهَ التوفيقَ والسداد، وأن ينفعَ اللهُ بهذا الجهدِ مَن جمعَهُ وقرأهُ وسمعهُ في الدنيا والآخرة؛ إنه ولي ذلك والقادرُ عليه، باسمهِ نبتدئ، وبهِ نستعين، وعليهِ نتوكل، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيم.

المطلب الأول

فضلُ آيةِ الكرسي

هنالكَ أدلةٌ كثيرةٌ تدلُّ علىٰ فضلِ آيةِ الكرسي، وأنها أعظمُ آياتِ القرآن الكريم من حيثُ تلاوتها، وتعلمُ معانيها، وتدبرُ مضامينِها، وتحقيقُ هداياتِها، فمن ذلك:

١- إخبارُ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بأنَّها أفضلُ آي الذكر الحكيم:

هذه الآيةُ الكريمةُ هي أعظمُ وأفضلُ وأجلُّ آيةٍ في كتابِ الله، فقد ثبت ذلكَ في حديثِ مسلمٍ عَنْ أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: "يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟ " قَالَ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ:" يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ "قَالَ قُلْتُ: الله لاَ إِلَهَ إِلاّ هُوَ الْحَيّ الْقَيّومُ. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي؛ وَقَالَ: "وَالله لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ"[1].

(١) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، ح رقم ٨١٠.

وجاءت زيادةٌ في غيرِ صحيحِ مسلمٍ بإسنادٍ صحيح، وفيها: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ لَهَا لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ، تُقَدِّسُ الرَّحْمَنَ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ الْعَرْشِ)[1].

وما فضلت هذه الآيةُ علىٰ سائرِ آياتِ القرآن إلا لأنها تضمنت من المعاني في توحيدِ الله بما لا يوجدُ مثلُهُ في غيرِها. قالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قد عُلمَ أن تفاضلَ القرآنِ وغيرِه من كلامِ اللهِ ليس باعتبارِ نسبتِهِ إلىٰ المتكلم، فإنه سبحانه واحد، ولكن باعتبارِ معانيهِ التي يتكلمُ بها، وباعتبارِ ألفاظهِ المبيّنةِ لمعانيه. والذي قد صحَ عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه فضَّلَ من السورِ سورةَ الفاتحةِ، وقال: (إنه لم يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا)... وفضَّلَ من الآياتِ آية الكرسي... وليس في القرآنِ آيةٌ واحدةٌ تضمنت ما تضمنتَه آيةُ الكرسي"[2].

---

(١) أخرجها البيهقي في السنن الصغرىٰ ح رقم ٩٧٤، والإمام أحمد في المسند ح رقم ٢١٣١٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ح رقم ١٠٨٧٢، وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) الفتاوىٰ الكبرىٰ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: حسنين محمد مخلوف (٥/ ٧)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٨٦هـ.

وقال ابنُ قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " ومعلومٌ أن كلامَه الذي يثني علىٰ نفسهِ به، ويذكرُ فيه أوصافَه وتوحيدَه أفضلُ من كلامهِ الذي يذمُّ به أعداءه، ويذكرُ أوصافَهم، ولهذا كانت سورةُ الإخلاصِ أفضلَ من سورةِ تَبَّتْ، وكانت تعدلُ ثلثَ القرآنِ دونها، وكانت آيةُ الكرسي أفضلُ آيةٍ في القرآن"[1].

٢- إخبارُ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّها تحفظُ مَن قرأَهَا من الشرورِ وتطردُ عنه الشياطين:

فهي حارسةٌ لمن قرأَهَا من الآفات، فقد جاءَ في حديثِ البخاريِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَصَّ الْحَدِيثَ. فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي (١/ ٢٧٢)، الناشر: دار الفكر – بيروت، ١٣٩٨ه – ١٩٧٨م.

فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنْ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ)[1].

٣- إخبارُ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأنَّ من قرأها دبرَ كلِّ صلاةٍ كانت سببًا له في دخولِ الجنة:

فقد جاء في حديثِ أبي أمامةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا إلىٰ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو قوله:(مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِي دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إِلاَّ أَنْ يَمُوتَ)[2].

قال التفتازاني رَحِمَهُٱللَّهُ في معنىٰ الحديث: "يعني لم يبق من شرائطِ دخولِ الجنةِ إلا الموت، وكأن الموتَ يمنعُه، ويقول: لا بد من حضوري أولًا لتدخلَ الجنة"[3]، وقيل:" المقصودُ أنه لا يمنعُ من دخولِ الجنةِ شيءٌ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، ح رقم ٣٢٧٥.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ ح رقم ٩٩٢٨، والطبراني في المعجم الأوسط ح رقم ٨٠٦٨، وابن حبان في صحيحيه في كتاب الصلاة والبيهقي في شعب الإيمان ح رقم ٢٣٩٥. وصححه المنذري والهيثمي والحافظ ابن حجر والسيوطي، وصححه كذلك الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٩٧٢.

(٣) فيض القدير فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام (١٧/ ١٣٦)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

من الأشياءِ البتة، فإن الموتَ ليس بمانعٍ من دخولِ الجنة؛ بل قد يكون موجبًا لدخولِها"[1].

٤- اشتمالُها علىٰ اسمِ اللهِ الأعظمِ الذي ما دعا به عبدٌ إلا استجيبَ له:

عن أبي أمامةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (إن اسْمَ اللهِ الأَعظَمَ الذِي إذا دُعِيَ بِهِ أجابَ في ثَلاثِ سُوَرٍ منَ القُرْآنِ، في البَقَرَةِ، وآلِ عِمْرَانَ، وطَهَ)، فالتمستُها فوجدتُ في سورةِ البقرة آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[البقرة:٢٥٥]، وفي سورةِ آل عمران ﴿الم اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران:٢]؛ وفي سورة طه ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه:١١١]"[2].

---

(١) انظر: مشكاة المصابيح مع شرحه مرقاة المفاتيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني (٣/ ٦٥٥)، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣،١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه ح رقم ٣٨٥٦، والحاكم في المستدرك ح رقم ١٨٦٦، الطبراني في المعجم الأوسط ح ٨٣٧١، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجة وفي السلسلة الصحيحة ح رقم ٧٤٦.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلَـهُ الـحَيَـاةُ كَـمَـالـهُـا فِلأجْـلِ ذَا ... مَـا لِلمَمَـاتِ عَلَيـهِ مِنْ سُـلْطَـانِ

وَكَـذَلِـكَ الـقَـيُّـومُ مِـنْ أوْصَـافِـهِ ... مَـا لِلمَنَـامِ لَـدَيْـهِ مِنْ غِشْـيَـانِ

وَكَذَاك أوْصَـافُ الكَمَالِ جَمِيعُهَا ... ثبتَتْ لَـهُ وَمَـدَارُهَـا الوَصْـفَـانِ

فمُصَـحّحُ الأوْصَـافِ وَالأفْعَـالِ ... وَال-أسْمَاءِ حَقًّا ذَانِكَ الوَصْفَانِ

ولأجْـل ذَا جَـاءَ الـحَـدِيـثُ بِـأنَّـهُ ... فِي آيَـةِ الكُرْسِـيْ وَذِي عِـمْرَانِ

اسْـمُ الإلَـهِ الأعظَمُ؛ اشـتَمَلاَ عَلَىٰ ... اسْـمِ الحَيِّ والقَيّومِ مُقْتَرنَـانِ

فـالكُـلُّ مرجِعُهَـا إلَىٰ الإسْـمَين ... يَدْرِي ذاكَ ذُو بَصَرٍ بِهَذَا الشَّانِ[1].

٥- اشتمالُها علىٰ أعظمِ المعاني التي جاء القرآنُ الكريمُ لبيانِها:

قال العلماءُ: قد فضلت آيةُ الكرسي هذا التفضيلَ لما اشتملت عليه من عظيمِ المعاني، ومن الدلائلِ والبراهينِ القاطعةِ في توحيدِ الله وتعظيمه، وهذا ما تنَبَّه إليه أبي ابن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بفقهِهِ، وحسن استقرائه لمعاني القرآن، وهَنّأه به النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلا مذكورَ أجلُّ وأعظمُ من اللهِ،

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (١/ ٢٤)، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٢٨هـ.

فَذكرُهُ أفضلُ من كلِّ ذكر، ومعرفتُهُ بكمالِ صفاتِهِ، وسموِّ أسمائِهِ أشرفُ علم، فكلُّ كلامٍ اشتملَ علىٰ نعوتِ جلالِهِ وجمالِهِ، وصفاتِ كبريائِهِ هو غايةُ الشرفِ، ونهايةُ العظمة، وهو الفقهُ الأكبر، وكلمةُ الإخلاصِ والتقوىٰ، والعروةُ الوثقىٰ. وقد جاءت كلُّ معاني التوحيدِ المفصلةِ في القرآنِ الكريم مجتمعةً ومضمنةً في هذه الآيةِ الكريمة.

ومن هنا كان العلمُ بأسماءِ اللهِ وصفاتِهِ، وتلاوةِ وتدبرِ الآياتِ والسور التي تبين ذلك؛ هو شغلَ العقلاءِ العارفين، وزينةَ حياةِ الموحدين، وبه ترقوا في درجاتِ المحبةِ والخشية، وقَادَهم ذلك إلىٰ حسنِ الإنابةِ وكمالِ الثقة، وأحدثَ ذلك في قلوبِهم تعظيمًا للهِ وخوفًا منه وقربًا، وتوكلًا وصدقًا، فسكنت نفوسُهُم بقربِهِ وعبوديتِهِ، واطمأنَت قلوبُهُم بتلاوةِ ذكرِهِ وتدبره، فخضعت نفوسُهُم لعظمتِهِ، وطمعت أرواحُهُم في رحمتِهِ وفضله.

٦- ترغيبُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كثرةِ قراءتها:

ومما يدلُّ علىٰ فضلِها كثرةُ الأحاديثِ التي ترغِّبُ في قراءتِها، وجعلِها وردًا للإنسانِ في الصباحِ والمساء، كما في قصةِ أسيرِ أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (ما يجيرُنا منكُم؟ قال: تَقرأُ آيةَ الكرسي من سورةِ البقرة ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا

﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾. قال: نعم. قال: إذا قرأتَهَا غَدوةً أجرت منا حتىٰ تُمسي، وإذا قرأتَها حينَ تُمسي أجرت منا حتىٰ تُصبح. قال أبي: فغدوتُ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ فأخبرتُه بذلك، فقال: صدقَ الخبيث)[1]. كذلك تستحبُ قراءتها عندَ النومِ في كلِّ ليلة، وفي أدبارِ الصلواتِ المكتوبات الخمس، وقد رتَّبَ اللهُ علىٰ قراءتِها وتعلُّمِها ما ليس في سائرِ القرآنِ الكريم.

٧- تسميتُها باسمِ خاص "آيةُ الكرسي" يدل علىٰ عظمتها:

فإن هذا الاسم له دلالات خاصة "لأنه علىٰ قدرِ مملكةِ الملِك، تكون قدرتُه، وعلىٰ حسبِ قدرتِه، يكون علوُّهُ وعظمتُه "[2].

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ ح رقم ١٠٧٩٧، والحاكم في المستدرك ح رقم ٢٠٦٤، والطبراني في المعجم الكبير ح رقم٥٤١، والبيهقي في دلائل النبوة ح رقم٣٠٣٤، وذكره صاحب اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ح رقم ٥٦٣٤، وابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان ح رقم ٧٨٤. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: "رواه الطبراني ورجاله ثقات ".

(٢) مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٢/ ٤٥)، دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض، ط١، ١٤٠٨ ه – ١٩٨٧ م.

فاختصت آيةُ الكرسي بهذه الفضائلِ لما اشتملت عليه من أصولِ الوحدانيةِ، وعظيمِ الأسماءِ والصفاتِ الإلهية، من الحياةِ، والقيوميةِ، والملكِ، والسلطان، والعلمِ، والإرادةِ، والقدرةِ، والعلوِّ، والعظمة.

فهذه الفضائلُ السابقة تدفعُ المؤمنَ لكثرةِ قراءتها في الصبحِ والمساء، وعندِ النوم، ودبرِ الصلواتِ المكتوبة قراءةً مرتبطةً بالتدبرِ لمعانيها، والسعي الجاد لاستنباطِ حكمِها ومعرفةِ أسرارِها الدقيقة، فهي نورٌ وهدايةٌ وحصنٌ لمن قرأها، وتعلم معانيِها وهدايتها.

المطلب الثاني

مناسبة آية الكرسي لما قبلها وما بعدها

أ – مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّه فضَّلَ بعضَ الأنبياءِ علىٰ بعض، وأن منهُم من كلَّمَه، ورفعَ بعضَهُم درجات، وكانت اليهودُ والنصارىٰ الذين جاء ذكرُهُم في الآيةِ قد أحدثوا بعدَ نبيِّهِم بدعًا في أديانِهم وعقائدِهم، ونسبوا اللهَ تعالىٰ إلىٰ ما لا يجوزِ عليه، وكان رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثَ إلىٰ الناسِ كافة، فكان منهُم العرب، وكانوا قد اتخذوا من دونِ اللهِ آلهةً وأشركوا، فصارَ جميعُ الناسِ المبعوثِ إليهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ غيرِ استقامةٍ في شرائعِهم وعقائدِهم، وذكرَ تعالىٰ أن الكافرين هُم الظالمون، الواضعون الشيءَ في غيرِ مواضعه، أتىٰ بهذه الآيةِ العظيمةِ والمتضمنةِ صفاتِهِ العلا، الدالةِ علىٰ جلالهِ وكمالهِ وعظيمِ سلطانه، وأنه هو المعبودُ بحقٍ، وأن عبادتَه هي التي تُنجي من أهوالِ يومِ القيامة الذي لا شفيعَ فيه لمخلوقٍ إلا بإذنِهِ، وجُعلت هذه الآيةُ ابتداءً لآياتِ تقريرِ الوحدانيةِ والبعثِ في سورةِ البقرة[1].

---

(١) انظر: البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون (٢/ ٤٤٢)، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

ب – مناسبة الآية لما بعدها:

جاءت آيةُ ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، بعدَ آيةِ الكرسي التي اشتملت علىٰ دلائلِ الوحدانيةِ، وعظمةِ الخالقِ، وتنزيهِهِ عن شوائبِ ما كفرت به الأممُ، ولما كان من شأنِ تلكَ الأدلةِ أن تسوقَ ذوي العقولِ إلىٰ قبولِ هذا الدينِ الواضحِ العقيدة، المستقيمِ الشريعةِ، باختيارِهم دون جبرٍ ولا إكراه، ومن شأنها أن تجعلَ دوامَهُم علىٰ الشركِ بمحلِ السؤال: أيُتْرَكون عليه أم يُكْرَهُون علىٰ الإسلام، فكانت الجملةُ استئنافًا بيانيًا أن الدينَ صارَ بيِّنًا إلىٰ حدٍّ لا يحتاجُ فيه منصفٌ لنفسهِ إلىٰ إكراه للدخول فيه.

قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " ولما اتضحت الدلائل لكل عالم وجاهل صار الدين إلىٰ حد لا يحتاج فيه منصف لنفسه إلىٰ إكراه فيه فقال: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ "[1].

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (١/ ٥٠٠)، دار النشر / دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢،١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٢ م.

المطلب الثالث

المعنىٰ الاجمالي لآية الكرسي

ذكرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذه الآية كمالَ وحدانيتِهِ، وحياتِهِ، وقيوميته، في قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، ثم ذكرَ تنزهَه عن كلِّ نقصٍ وعيب، في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ثم بينَ كمالَ ملكِهِ، وسلطانِهِ، وعلمِهِ، وعجزَ خلقه عن الإحاطةِ به، في قوله تعالىٰ: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، ثم ذكرَ كمالَ مشيئتِهِ، وعَظمةِ خلقه، وكمالَ قوتِهِ، وعلوهِ وعظمته بما يقودُ كلَّ عاقلٍ إلىٰ توحيده، في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ "ففي الآيةِ ذَكَرَ الحياةَ التي هي أصلُ جميعِ الصفات، وذكرَ معها قيوميتَه المقتضيةَ لذاتِهِ وبقائِهِ، وانتفاءِ الآفاتِ جميعِها عنه من النومِ والسنةِ والعجزِ وغيرِها، ثم ذكرَ كمالَ ملكِهِ، ثم عقبَه بذكرِ وحدانيتِهِ في ملكِهِ، وأنه لا يشفعُ عندَه أحدٌ إلا بإذنِهِ، ثم ذكرَ سعةَ علمِهِ وإحاطتِهِ، ثم عقبَه بأنه لا سبيلَ للخلقِ إلىٰ علمِ شيءٍ من الأشياءِ إلا بعدَ مشيئتِهِ لهم أن يعلموه، ثم ذكرَ سعةَ كرسيهِ منبهًا به علىٰ سعتِهِ سبحانه، وعظمتِهِ وعلوِّه؛ وذلك توطئةً بين يدي ذكرِ علوِّه وعظمتِهِ، ثم أخبرَ عن كمالِ اقتدارِه وحفظِهِ للعالمِ العلوي والسفلي

من غيرِ اكتراث، ولا مشقةٍ، ولا تعبٍ، ثم ختمَ الآيةَ بهذين الاسمين الجليلين الدالين علىٰ علوِّ ذاته وعظمتهِ في نفسه"[1]

(١) الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله (٤/ ١٣٧١)، الناشر: دار العاصمة – الرياض، ط٣، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

المطلب الرابع

الفوائد والهدايات من الآية

هذه أكثرُ من مائةِ فائدةٍ وهدايةٍ، جمعتُها من عامةِ كتبِ التفسيرِ المطبوعة[1]، وأضفت إليها استنباطات أخرىٰ كثيرة، حولَ أعظمِ آيةٍ في كتابِ الله، جمعتُها والقلبُ يرتجف، والعينُ تدمع، والنفسُ منكسرةٌ لما فيها من عظمةِ وجلالِ من تكلمَ عن نفسهِ لعبادِه ببعضِ صفاته من خلالِ كلماتها العظيمة، حتىٰ يعرفَ العبادُ رَبَّهُم، فيوحدُوه، ويعبدُوه، ويعظمُوه،

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آية القرآن، للطبري (٢/ ١٤٨٣)، وبحر العلوم، محمد بن أحمد أبو الليث السمر قندي (١/ ١٦٧)، ومعالم التنزيل، للبغوي (١/ ٢٦٨)، والكشاف، للزمخشري (١/ ٤٨٠)، وتفسير القرآن العظيم، لأبي مظفر السمعاني (١/ ٢٥٦)، ومفاتيح الغيب، للرازي (٣/ ٥)، والتسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبي (١/ ٢١٣)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (١/ ١٣٩)، والبحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (٢/ ٤٤٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٢٢٨)، وزاد المسير، لابن الجوزي (١/ ٣٠٢)، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/ ٢٥٦)، وإرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (١/ ٣٧٠)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي (١/ ٤٩٥)، وفتح القدير، للشوكاني (١٤٦٩)، ومحاسن التأويل، محمد جمال القاسمي (١/ ٩٨)، وفتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن القنوجي (١/ ٣٦٨)، وروح المعاني، للألوسي (٢/ ١٠)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي(ص:١١٠)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٣/ ١٧)، وتفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا (٣/ ٢٠)، وفي ظلال القرآن، سيد قطب، (/ ٢٦٤)، وتفسير آيات الأحكام، محمد بن صالح العثيمين (١/ ٤٠٣)، وتفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين (٣/ ٢٥٠)، وأيسر التفاسير، لأبي بكر الجزائري (١/ ٤٣)، وغيرها.

فإنه نعمَ المولىٰ، ونعمَ النصير، عليمٌ بكلِّ شيء، قائمٌ علىٰ كلِّ نفس، فردٌ صمد، لا مثيلَ له، ولا شبيَه ولا نظير، خَضَعت السمواتُ والأرضُ والجبالُ لعظمتهِ، وسبحَ الكونُ لجلالهِ وجمالهِ وكماله.

جمعت هذه الفوائدَ ليستفيدَ منها مَن عرفوا ربهَم بأسمائهِ الحسنىٰ، وصفاتهِ العلىٰ، بما أظهرَه لعبادِه من خلالِ وحيه، ممن أثبتوا للهِ ما ذكرَه عن نفسهِ في كتابهِ، وبينَه النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في سنتهِ، من غيرِ تمثيلٍ ولا تعطيلٍ ولا تحريفٍ ولا إلحادٍ، ليس كمثلهِ شيءٌ، وهو السميعُ البصير، إليك بيان ذلك في عشر وقفات علىٰ النحو الآتي:

الوقفة الأولىٰ مع قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾:

١. فيها إثباتُ وجودِ الله ووحدانيتهِ، بصورةٍ لا مجالَ فيها لأيِّ انحرافٍ أو لبسٍ مما طرأ علىٰ الدياناتِ السابقة – بعد الرسل – كعقيدة التثليثِ عند النصارىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[المائدة:٧٣].

٢. فيها وجوبُ إفرادِ الله تعالىٰ بالألوهيةِ في قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فلا معبودَ بحقٍّ سوىَ الله جلَّ جلاله، فهو الإلهُ الحقُّ الذي يتعين أن تكونَ جميعُ أنواعِ العبادةِ والطاعةِ والتألهِ له تعالىٰ، فلا يكونُ الإنسانُ

عبدًا إلا لله، ولا يتجه بالعبادةِ إلا لله، ولا يلتزمُ بطاعةٍ مطلقةٍ إلا بطاعةِ الله، وما يأمرُهُ اللهُ به من الطاعاتِ؛ وذلك لكمالهِ وكمالِ صفاته وعظيمِ نعمه، وفقرِ غيرِه له، وهو الغنيُّ عن العالمين.

٣. فيها إبطالُ طريقِ المشركين الذين أشركوا بالله، وجعلوا معَه آلهةً يُعبدون، فكلُّ معبودٍ سوىٰ الله تعالىٰ باطل، فعبادتُهُم باطلة، لكونِ ما سوىٰ اللهِ مخلوقًا ناقصًا مدبَّرًا فقيرًا من جميعِ الوجوه، فكيفَ يستحقُ شيئًا من أنواعِ العبادة، والله هو الخالقُ الرازقُ الملكُ المدبِّرُ الغنيُّ عن العالمين؟.

٤. فيها ما يدلُّ علىٰ المبالغةِ في الثناءِ علىٰ اللهِ تعالىٰ، من خلالِ قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ حيث حصرتْ الألوهيةَ له عن طريق النفي والاستثناء، وهو مثلُ قولِهم: لا كريمَ إلا فلان" أبلغُ من قولِهم: فلانٌ كريم.

٥. فيها الدلالة القوية علىٰ التوحيد من خلال أسلوب الحصر والقصر المتمثل في النفي في " لا "، والاستثناء في " إلّا "، وأن كلَّ من عبد من غيرِ الله لا يستحق مجرد تسميته إلهًا فضلًا عن عبادته من دون الله.

٦. فيها أن كمالَ التوحيدِ يكونُ بنفيِ الشركِ وتجريدِ الوحدانيةِ للهِ تعالىٰ، وهما ركنا التوحيد، فمن نفىٰ ولم يثبت فهو ملحد، ومن أثبتْ ولم ينفِ

فهو مشرك، ومن نفىٰ وأثبت فهو الموحد، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

٧. فيها ما يدلُّ علىٰ عظمةِ هذه الآيةِ، حيثُ بُدِئت وصُدِّرت بأعظمِ الكلماتِ وأجلِّها، وهو لفظُ الجلالةِ ﴿ٱللَّهُ﴾، فبدأت الآية بالاسم العَلمِ المنفرد به، والعَلَمُ هو أعرف المعارف، وقيل الضمير أعرفها، عدا لفظ الجلالة، وختمت باسم ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ اللذان يدلان علىٰ تفرده كذلك في علوه وعظمته.

٨. فيها ما يدلُّ علىٰ تفردِّ اللهِ بالربوبيةِ، لأن انفرادَه جل وعلا بالألوهيةِ يتضمنُ انفرادَه بالربوبيةِ، وأن ما سواهُ مربوبٌ له مفتقرون إليه، فهو الواحدُ الأحدُ، الفردُ الصمد، الخالقُ الرازقُ المدبر.

٩. فيها بيانُ عظمةِ كلمةِ التوحيدِ، حيث صدرت بها أعظم آية في كتاب الله، كما جاءَ في الحديثِ: (أَفْضَلُ الدُّعاءِ دعاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وأَفْضَلُ ما قُلْتُ أنا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ)[1].

الوقفةُ الثانيةُ مع قولهِ تعالىٰ: ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾:

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ح رقم ٥٠٠، والترمذي في سننه ح رقم ١١٠٢، والبيهقي في سننه ح رقم ٨٦٥١، وحسنه الألباني.

١٠. فيها إثباتُ هذينِ الاسمينِ لله تعالىٰ وهما:{الحي}، و{القيوم} وما تضمنَا من الصفاتِ وهما الحياة والقيومية.

١١. فيها إثباتُ صفةِ الحياةِ الكاملةِ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فحياتُهُ حياةٌ أزليةٌ لم تسبقْ بعدمٍ، ولمْ تَبدأْ من مبدأ، ولم تأتِ من مصدرٍ آخرَ كحياةِ الخلائقِ المكتسبةِ الموهوبةِ لها من الخالقِ، فهو الأولُ الذي ليس قبلَه شيءٌ، والآخرُ الذي ليس بعده شيءٌ، كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد: ٣]. كما أن حياتَه لا يلحقُها زوال، فلا تنتهي إلىٰ نهايةٍ، قال تعالىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾[الرحمن:٢٦ – ٢٧]، كما أن حياتَه لا يلحقُها نقصٌ، فالحياةُ الكاملةُ له وحده، وهو واهبُ الحياةِ لخلقِه، وكلُّ حيٍّ منه يستمدُ حياتَه.

١٢. فيها ما يدلُّ علىٰ عظمةِ اللهِ تعالىٰ وجلالِه ورفعتِه؛ فإذا كان كلُّ من وصفَ بمطلقِ الحياةِ دلَ ذلك علىٰ عظمتِه ورفعته، كما يقال: فلان حيٌ، فكيف بمن اتصفَ بالحياةِ المطلقةِ، وكذلك الأرضُ سماها اللهُ تعالىٰ حيةً إذا اهتزت؛ وأنبتت لرفعتِها في أعينِ الخلقِ، والشهداءُ أحياء عند ربهم يرزقون" لرفعتهم عند الله تبارك وتعالىٰ ".

١٣. فيها أن الذي يموتُ ويفنىٰ، ويعتري حياتَه النقصُ، ويستمدُ حياتَه من غيرِهِ لا يستحقُ أن يعبدَ، وإنما الذي يعبدُ مَن له الحياةُ الكاملةُ الباقيةُ.

١٤. فيها إثباتُ قيوميةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهو قائمٌ بنفسِه، قائمٌ علىٰ غيرِه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾، وهذا الوصفُ لا يكونُ لمخلوقٍ؛ لأنه ما من مخلوقٍ إلا وهو محتاجٌ إلىٰ غيرِه؛ فنحنُ محتاجونَ إلىٰ العمالِ، والعمالُ محتاجونَ إلينا؛ ونحن محتاجونَ إلىٰ النساءِ، والنساءُ محتاجاتٌ إلينا، ونحن محتاجونَ إلىٰ الأولادِ، والأولادُ يحتاجون إلينا، ونحن محتاجون إلىٰ المالِ، والمالُ محتاجٌ إلينا من جهةِ حفظِهِ، وتنميتِهِ؛ والكلُّ محتاجٌ إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[فاطر:١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[لقمان: ٢٦]؛ فليسَ هنالكَ من هو قائم علىٰ غيرِهِ في جميعِ الأحوالِ إلا الله، قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾[الرعد:٣٣] (١).

١٥. فيها إثباتُ كمالِ غنىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عما سواه، وإثباتُ حاجةِ وفقرِ جميعِ الخلقِ إليهِ؛ فهو القائمُ علىٰ جميعِ خلقِهِ في أرزاقِهم وأمورِهم

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم، لابن عثيمين (٣/ ٢٥٧)، الناشر: دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ.

وآجالِهم وأعمالِهم وحسابِهم، فبه قيامُ كلِّ موجود، بل لا يتصورُ وجودُ شيءٍ ولا دوامُ وجودِه إلا به. فاسمُه القيومُ مقتضٍ لتدبيرِ أمر العالمِ العلوي والسفلي، وقيامِه بمصالحِه وحفظِه دون معينٍ أو ظهير، قال تعالىٰ: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس:٦٨].

١٦. في اسمهِ ﴿الْقَيُّومُ﴾ ما يدلُّ علىٰ أن اللهَ جلَّ جلالُه دائمُ الوجودِ، لا يزولُ ولا يحولُ، وهذا من كمالِ قيوميتِه، فهو قائم علىٰ كل نفس بما كسبت في الدنيا، وقائم علىٰ كل نفس في الآخرة بالجزاء.

١٧. فيها إثباتُ كمالِ العلمِ والقدرةِ والحكمةِ للهِ تعالىٰ، حتىٰ يكونَ كاملَ القيوميةِ، وقد قيل: ﴿الْقَيُّومُ﴾ العالِمُ بالأمورِ، من قولِهم: فلان يقومُ بهذا الكتابِ، أي: يعلمُ ما فيه.

١٨. فيها أنَّه إذا كان كلُّ شيءٍ قائمًا في وجودِه باللهِ، والكونُ كلُّه قائمٌ بحفظِه وتصريفِه وتدبيرِه، فلا ينبغي لعبدٍ أن يَصْرِفَ تعلقَه إلا بالذي بيدِه مفاتيحُ الأمورِ وتصريفِها، الحيُّ القيومُ، العليمُ الحكيم، القوي القدير، وإني لأعجبُ ممن يتركُ ربَّه القائمَ علىٰ كلِّ شيءٍ، الفعالَ لما يريدُ، لعبدٍ لا يملكُ لنفسِه ما يريدُ، قالَ تعالىٰ علىٰ لسانِ إلياس عليه الصلاةُ

والسلام: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۝١٢٥ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[الصافات: ١٢٥ - ١٢٦].

١٩. فيها تَضمُّنُ آيةِ الكرسي لاسمِ اللهِ الأعظمِ ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، الثابتِ في السنةِ النبويةِ الصحيحةِ، الذي إذا دُعي به أجابَ، وإذا سئلَ به أَعطىٰ. وقد ذُكِرَ هذان الاسمان الكريمان في ثلاثةِ مواضعَ من القرآنِ الكريم: في هذه الآيةِ من سورةِ البقرةِ، وسورةِ آلِ عمران في قوله تعالىٰ ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[آل عمران:٢]، وسورةِ طه في قولهِ تعالىٰ: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾[طه: ١١١].

٢٠. فيها ما يدلُّ علىٰ عظمِ هذينِ الاسمينِ ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، فهما يدلانِ علىٰ سائرِ الأسماءِ الحسنىٰ دلالةَ مطابقةٍ وتضمنٍ والتزام، فالحيُّ: من له الحياةُ الكاملةُ المستلزمةُ لجميعِ صفاتِ الذاتِ كالسمعِ والبصرِ والعلمِ والقدرةِ، ونحو ذلك، والقيومُ: هو الذي قامَ بنفسهِ، وقامَ علىٰ غيرِه، وذلك مستلزمٌ لجميعِ الأفعالِ التي اتصفَ بها ربُّ العالمين، من فعلهِ ما يشاءُ من الاستواءِ والنزولِ والكلامِ والقولِ والخلقِ والرزقِ والإماتةِ والإحياءِ، وسائرِ أنواعِ التدبيرِ، كلُّ ذلك داخلٌ في قيوميةِ البارئ.

قال أهلُ العلمَ: وإنما كان الاسمُ الأعظمُ في اجتماعِ هذين الاسمين لأنهما تضمنا جميعَ الأسماءِ الحسنىٰ؛ فصفةُ الكمالِ في{الحي}، وصفتا الإحسانِ والسلطان في {القيوم}. فإنَّ صفةَ الحياةِ متضمِّنةٌ لجميعِ صفاتِ الكمالِ، مستلزمةٌ لها، وصفةَ القَيُّوميةِ متضمنةٌ لجميعِ صفاتِ الأفعالِ.

٢١. فيها بيانُ التباينِ العظيمِ بين صفاتِ الخالقِ وصفاتِ المخلوق، فحياتُه ليست كحياةِ المخلوق، وهكذا سائرُ الصفات، ولا ينقدحُ التشبيهُ من خلالِ إثباتِ الصفاتِ إلا في قلبٍ منحرف.

الوقفةُ الثالثةُ مع قولهِ تعالىٰ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾:

٢٢. فيها امتناعُ السِّنَةِ والنومِ عن اللهِ عَزَّوَجَلَّ، والسنةُ: "بدءُ النعاسِ، وهو فتورٌ يعتري الإنسان يتقدمُ النومَ، لا يفقدُ معه كلَّ ذهنِه، بل يكونُ الإنسانُ بين النائمِ واليقظان، والنومُ هو المستثقلُ الذي يزولُ معه الذهن، وبه تقفُ الحواسُ الظاهرةُ عن الإحساسِ والشعورِ"[1]. وقد جاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) انظر: جامع البيان جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر (٢/ ١٤٨٦)، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد (١/ ٣٣٤)، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَنَامُ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ »[1].

٢٣. فيها توكيدٌ لكمالِ حياتِهِ وقيوميتِهِ الدائمةِ المستمرةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ كلِّ شيءٍ في هذا الوجودِ، بكلِ جزئياتِهِ، في كلِّ وقتٍ وفي كلِّ حالةٍ، فهو لاَ يَعْتَرِيهِ نَقْصٌ وَلا غَفْلَةٌ، وَلا ذُهُولٌ ولا سهوٌ عَنْ خَلْقِهِ. قال أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وقد نسبَ جزءًا من القولِ لابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : " معناه لا تحلُّه الآفاتُ والعاهاتُ المذهلةُ عن حفظِ المخلوقاتِ، وأُقِيمَ هذا المذكورُ من الآفاتِ مقامَ الجميعِ، وهذا هو مفهومُ الخطابِ "[2].

٢٤. فيها إثباتُ صفةِ الكمالِ لله عَزَّوَجَلَّ من وجهينِ؛ وذلك لأنَّ الإيمانَ بالصفاتِ المنفيةِ يتضمنُ شيئين؛ أحدُهما: الإيمانُ بانتفاءِ الصفةِ المذكورةِ؛ والثاني: إثباتُ كمالِ ضدِها؛ لأنَّ النفي ليسَ فيه مدحٌ ولا كمالٌ إلا إذا تضمنَ إثباتًا، فالكمالُ هو في الوجودِ والثبوتِ، والنفيُّ

---

(١)كتاب: الإيمان، باب: في قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ «إِنَّ اللهَ لاَ يَنَامُ». ح رقم ٤٦٣.

(٢) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٢/ ٢٠٦).

مقصودُهُ نفيُ ما يناقضُ ذلك، فإذا نفي النقيضُ الذي هو العدمُ والسلبُ لَزِمَ ثبوتُ النقيضِ الآخرِ الذي هو الوجودُ والثبوتُ، فقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ فيه نفيٌ للسنةِ والنومِ يتضمنُ كمالَ الضدِ، وهو إثباتُ الكمالِ في حياتهِ سبحانهِ، وقيوميتهِ.

٢٥. فيها إثباتُ الصفاتِ المنافيةِ وما يتضمنه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾؛ و«الصفاتُ المنفيةُ» - ما نَفَاهُ اللهُ عن نفسهِ - وهي متضمنةٌ لثبوتِ كمالِ ضِدِّها. فإنَّ ما وصَفَ اللّهُ تعالىٰ به نَفسَه من الصفاتِ السلبيةِ، لابد أن يتضمنَ معنىً ثبوتيًّا.

٢٦. فيها إثباتُ الكمالِ المطلقِ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من خلالِ الإثباتِ والنفيِ؛ لأن الكمالَ قد يطلقُ باعتبارِ الأغلبِ الأكثرِ، وإن كان يردُ عليه النقصُ من بعضِ الوجوه؛ لكن إذا نفي النقصُ فمعناه أنَّ الكمالَ كمالٌ مطلقٌ لا يردُ عليه نقصٌ أبدًا بوجهٍ من الوجوهِ، مثالُ ذلك: إذا قيلَ: «فلانٌ كريمٌ» فقد يرادُ به أنه كريمٌ في الأغلبِ الأكثرِ، فإذا قيل: «فلانٌ كريمٌ لا يبخلُ» عُلِمَ أن المرادَ كمالُ كرمهِ، بحيث لا يحصلُ منه بخلٌ، وهنا النفيُّ حصَلَ بقولهِ تعالىٰ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾؛ فدلَّ علىٰ كمالِ حياتهِ، وقيوميتهِ.

٢٧. فيها أن طريقَ الإثباتِ، وطريقَ النفيِ المتضمن الإثبات من أبلغِ طرقِ المدحِ، ومن هنا فقد أثبتَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنفسهِ الحياةَ والقيوميةَ في أسمائهِ وصفاتهِ بالطريقين.

٢٨. فيها أنَّ نفيَ استيلاءِ السنةِ والنومِ علىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع تحقيقِها لكمالِ الحياةِ والقيوميةِ يفيدُ كمالَ العلمِ؛ فإنّ السنةَ والنومَ يشبهانِ الموتَ، فإن مَنْ تأخُذُه السنةُ والنومُ يكونُ ضعيفَ الحياةِ ضعيفَ القيامِ بشؤونِ نفسهِ وغيرهِ، وهما يعوقان عن التدبيرِ، وعن العلمِ بما يحصلُ في وقتِ استيلائِهما علىٰ الإحساسِ، فإن من أخَذَه نعاسٌ أو نومٌ يكونُ ضعيفَ الحياةِ، قاصرًا في الحفظِ والتدبيرِ والعلمِ.

٢٩. فيها إثباتٌ لكمالِ قوةِ اللهِ تعالىٰ وقدرتهِ فلا يقهرُه شيءٌ ولا يغلبُه، فإن اللهَ جلَّ جلاله نزَّه نفسَه عن السنةِ والنومِ لما فيهما من الراحةِ، وهو تعالىٰ لا يجوزُ عليه التعبُ والراحةُ.

٣٠. فيها وجوبُ تنزيهِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عن كلِّ صفاتِ النقصِ، من أشباه السنة والنوم: كالغفلةِ والسهوِ والنسيانِ والخطأ، والانشغالِ بشيءٍ عن شيءٍ ونحو ذلك، مع إثباتِ صفاتِ الكمالِ له، فمن تمامِ القيوميةِ أنه لا تعتريه سنةٌ ولا نومٌ، كما أنَّه جل وعلا لا يتعبُ، ولا يظلمُ، ولا يجهلُ، ولا يَعيا، وهذه الأشياءُ يجبُ تنزيهُ اللهِ عنها، كما يجبُ تنزيهه عن الشريكِ

والزوجةِ والولدِ والظهيرِ والوليِ من الذلِّ والشفيعِ بدون إذنه. قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " ولا ريب أن اللهَ يحبُ تنزيهَه عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ وآفةٍ، فإنه القدوسُ السلامُ الصمدُ السيدُ الكاملُ في كلِّ نعتٍ من نعوتِ الكمالِ كمالًا لا يدركُ الخلقُ حقيقتَه، منزه عن كلِّ نقصٍ تنزيهًا لا يدركُ الخلقُ كمالهَ. وكلُّ كمالٍ ثبتَ لموجودٍ من غيرِ استلزامٍ نقصٌ، فالخالقُ تعالىٰ أحقُّ به وأكملُ فيه منه، وكلُّ نقصٍ تنزه عنه مخلوقٌ فالخالقُ أحقُّ بتنزيهِه عنه وأولىٰ ببراءتهِ منه "[1].

٣١. فيها حسنُ بيانِ القرآنِ الكريم ودقةُ وكمالُ تفصيله، فنفىٰ أولًا حَسَبَ الطبيعي في الوجودِ، فنفىٰ ما يعرضُ أولًا ثم ما يَتبَعه، ترقيًا في نفي النقص والاستيلاء من الأضعف إلىٰ الأقوىٰ. ولما كان نفيُّ السنةِ لا يستلزمُ نفي النومِ، ولا يُغني عنه نفي بعده النوم؛ لأن النومَ قد يردُ ابتداءً من دونِ ما ذُكِرَ من النعاسِ؛ لأنَّ من الأحياءِ من لا تعتريه السّنةُ فإذَا نَامَ نَامَ عميقًا، وإذا وَردَ علىٰ القلبِ والعينِ دفعةً واحدةً فإنه يقالُ له نومٌ، ولا يقال له سنةٌ.

(١) مجموعة الرسائل والمسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا (٥/ ١٦٦)، الناشر: لجنة التراث العربي.

وأيضا لما كان الإنسانُ يقدرُ أن يدفعَ عن نفسِه السِّنةِ، ولا يقدرُ علىٰ أن يدفعَ عن نفسهِ النومَ، وقد يأخذُهُ النومُ، ولا تأخذُهُ السنةُ، فلو وَقَعَ الاقتصارُ في النظمِ القرآني علىٰ نفيِ السنةِ لم يفد ذلك نفي النومِ، وهكذا لو وَقَعَ الاقتصارُ علىٰ نفيِ النومِ لم يفد نفيُ السنةِ، نفاهما معًا [1].

٣٢. فيها بلاغةُ القرآنِ في التعبيرِ بقولهِ ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ﴾ دونَ " لا تعرضُ له " أو " ولا تطرأُ عليه " مراعاةً للواقعِ في الوجودِ؛ فإن للسنةِ والنومِ قوةً قاهرةً تأخذُ الحيوانَ أخذًا وتقهرُ الكثيرَ من أجناسِ المخلوقاتِ قهرًا، ولكنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – وهو القاهرُ فوقَ عبادهِ – منزهٌ عن ذلك، ومبرأٌ من أن يعتريَه ما يعتري الحوادث.

٣٣. فيها أن تقديمَ السنةِ علىٰ النومِ يفيدُ المبالغةَ في النفي؛ لأن نفي السنةِ نفي للنومِ بالأولىٰ، ونفيُهُ ثانيًا صريحًا يفيدُ المبالغةَ؛ لأنَّ عطفَ الخاصِ علىٰ العامِ يفيدُ المبالغةَ؛ ولأن عطفَ العامِ علىٰ الخاصِ يفيدُ التوكيدَ، أي: لا تأخذُهُ سنةٌ فضلًا عن أن يَأخذَه نومٌ.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (٣/ ١٩)، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م.

٣٤. فيها أن النومَ والسنةَ صفاتُ نقصٍ[1]؛ ولهذا نزَّه تعالىٰ نَفسَه عنهما، ونفىٰ عن حياةِ أهلِ الجنةِ النصبُ واللغوبُ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[فاطر: ٣٤ – ٣٥].

الوقفة الرابعة مع قوله تعالىٰ: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾:

٣٥. فيها اختصاصُ اللهِ تعالىٰ بملكِ ما في السمواتِ وما في الأرضِ؛ فالخَلقُ خَلْقُه والملْكُ مُلْكُه، يُؤخذُ ذلك من تقديمِ الخبرِ – له –: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ لأنَّ الخبرَ حقُّهُ التأخيرُ؛ فإذا قُدِّمَ أفادَ الحصرَ، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان: ٢]

٣٦. فيها عمومُ ملكِ اللهِ ملكيةً مطلقةً بلا قيدٍ ولا شرطٍ ولا فوتٍ ولا شركةٍ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكةِ والشمسِ والقمرِ والكواكبِ، ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من العوالمِ المشاهدةِ وغيرِ المشاهدةِ، فهو المالكُ وما سواه مملوكٌ، وهو الخالقُ الرازقُ المدبرُ وغيرُهُ مخلوقٌ

(١) هي نقص في حق الخالق، أما في حق المخلوق فهي كمال؛ ولكن ليس كمالًا مطلقًا بل يتضمن النقص من فوات المصالح وغيرها؛ ولهذا تنزه الله عن الاتصاف بهما.

مرزوقٌ مدبَّرٌ، لا يملكُ لنفسهِ ولا لغيرهِ مِثقالَ ذرةٍ في السماواتِ ولا في الأرضِ.

٣٧. فيها بيانُ سفهِ من تَوّجهَ لمملوكٍ وترك المالكَ، ودعا مخلوقًا وتركَ الخالقَ الرازقَ المدبرَ الذي بيدهِ خزائنُ كلِّ شيءٍ؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾[سبأ:٢٢]. وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾[فاطر: ١٣]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾[الفرقان: ٣].

٣٨. فيها أن العبادَ لا يملكونَ الأعيانَ ملكًا مطلقًا، لأن الملكيةَ الحقيقيةَ للهِ وحده؛ إنما كان لهم استخلافٌ من المالكِ الواحدِ الأصلي الذي يملكُ كلَّ شيءٍ، فالإنسان لا يملك استقلالًا مثقال ذرة، وما يملكه في الحياة فإنما هو بتمليك الله له.

٣٩. فيها وجوبُ أن يكونَ الحكمُ الفاصلُ بين الناسِ قائمًا علىٰ حكمِ الله؛ وأن اعتمادَ الإنسانِ علىٰ أحكامِ المخلوقينَ الوضعيةِ نوعٌ من الإشراك باللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّ الملكَ لله عَزَّوَجَلَّ، فلا ينبغي أن نتصرفَ في ملكهِ إلا بما

يَرْضَاه، وِفْقَ شروطِ المالِكِ المستخلفِ لنا في هذه الملكيةِ، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠].

٤٠. فيها تسليةُ الإنسانِ عن المصائبِ، ورِضاهُ بقضاءِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وقدرِهِ، لأنَّه متىٰ عَلِمَ أن الملكَ للهِ وحدَه رضي بقضائِهِ وسَلّمَ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة: ١٥٦]. ولهذا كَانَ في تعزيةِ النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لابنتِهِ أنَّه قال: « إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَىٰ، وَكُلُّ شَيءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّىٰ »(١).

٤١. فيها عَدَمُ إعجابِ الإنسانِ بما حَصَلَ بفعلِهِ؛ لأن هذا من اللهِ تعالىٰ؛ والملكُ لهُ عَزَّوَجَلَّ.

٤٢. فيها أن في السمواتِ عوالم وخلقًا لا يعلمهُمُ إلا هو جلَّ وعلا، مما يدل علىٰ عِظم عالم الغيب الذي لا نعرف عنه إلا ما أخبرنا عنه من خلال الوحي.

٤٣. فيها أن ذكرَ السماوات بالجمعِ للإشارةِ إلىٰ ملكيةِ الله تعالىٰ التامة لكلِّ دقائِقِها، ونواميسها، وسننها، كما له جل وعلا الملكية التامة للأرضِ بكلِّ دقائقها ونواميسها وسننها.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الجنائز، باب: البكاء علىٰ الميت، ح رقم ٢١٧٤.

٤٤. فيها أن ما في السمواتِ من مُلْكِهِ أَعظَمُ مما في الأرضِ؛ ولذا قَدَّمَهَ هنا، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان: ٢].

٤٥. فيها أنه لا تنبغي العبادة " لشيءٍ سواه، لأن المملوكَ إنما هو طوعُ يدِ مالكه، وليس له خدمةُ غيرِه إلا بأمرِه. يقولُ الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " فجميعُ ما في السمواتِ والأرضِ مُلكي وخلقي، فلا ينبغي أن يعبدَ أحدٌ من خلقي غيرِي، وأنا مالكُه؛ لأنه لا ينبغي للعبدِ أن يعبدَ غيرَ مالكِهِ، ولا يطيعَ سوىٰ مولاه "[١].

٤٦. فيها بيانٌ ثانٍ لكمالِ غناه؛ لأن ما في السمواتِ وما في الأرضِ خلقُه وملكُه، فلا يحتاجُ إلىٰ معينٍ من الخلق، " فهو يسخرُ كلَّ موجودٍ لما خلقَه لأجلِهِ، فلا يحتاجُ إلىٰ إعانةِ ولد، ولا إلىٰ ترفيعِ رتبة أحدٍ استصناعًا له، كما يفعلُ الملوكُ لقوادِ جيوشِهم وأمراءِ أقطارِهم ومماليكِهم؛ لاكتسابِ مودتِهم وإخلاصِهم "[٢].

٤٧. فيها ردٌ علىٰ من عبدوا الملائكةَ أو غيرَهم، فإن ما في السمواتِ والأرضِ عبيدُهُ وإماؤه، ليس كما قالوا: فلانٌ ابنُ اللهِ، والملائكةُ بناتُ

---

(١) جامع البيان (٥/ ٣٩٥).

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٢٣١).

اللهِ، بل كلُّهُم عبيدُهُ وإماؤه، والناسُ لا يتخذون ولدًا من عبيدِهم وإمائِهم، فاللهُ أحقُ ألا يتخذ.

الوقفةُ الخامسةُ مع قولهِ تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾:

٤٨. فيها ما يدلُّ علىٰ كمالِ سلطانِ الله وعِظمِ كِبريائِهِ وجلالِهِ، بحيثُ لا يمكنُ أن يَقْدمَ أحدٌ علىٰ الشفاعةِ عندَهُ إلا بإذنهِ، لا نبيٌّ، ولا ملكٌ فضلًا عن غيرِهِم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾[النجم:٢٦]؛ حتىٰ صاحبُ الشفاعةِ الكبرىٰ يقولُ عن نفسهِ يومَ القيامةِ بعد أن يأتي إليه الخلقُ بعدَ الأنبياءِ، يقولُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، فَيُقَالُ: (يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ)»[1].

٤٩. فيها ما يدلُّ علىٰ عظمةِ ملكِ اللهِ تعالىٰ وكمالِهِ؛ فقولُهُ تعالىٰ: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يدلُّ علىٰ عمومِ الملكِ، وقوله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ يدلُّ علىٰ قوةِ سلطانِهِ، فإذا انضمتْ قوةُ السلطانِ إلىٰ عمومِ الملكِ صَارَ ذَلكَ أكملَ وأعلىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: التفسير، باب: { ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا } ح رقم ٤٧١٢، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا ح رقم ٤٩٥.

٥٠. فيها أنه لا أحدَ يقاومُهُ أو يناصبُهُ في الحسابِ؛ لأنَّه إذا نفيتْ الشفاعةُ إلا بإذنهِ فمن بابِ أولىٰ نفيُ غيرِهَا.

٥١. فيها أن الخلقَ مع تَفَاضلِهِم فيما بينَهُم، وعندَ ربِّهِم، لكنَّهم لهم حدودٌ لا يتجاوزُونَهَا، وأمورٌ لا يملكُونَها، فالعبيدُ جميعًا يقفون في موقفِ العبوديةِ في خشوعٍ وخضوعٍ، لا يتعدونَهُ ولا يتجاوَزونَه، فلا يجرؤُّ أحدٌ علىٰ الشفاعةِ عندَهُ إلا بإذنٍ، لقوله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾، والاستفهامُ الاستنكاري للاستبعادِ من وقوعهِ؛ وأنه مستنكرٌ أن يكون، فَمن هو هذا الذي يشفعُ عِندَه إلا بإذنهِ؟

٥٢. فيها ما يزرعُ في النفسِ من الجلالِ والهيبةِ والخضوعِ لسلطانهِ ما اللهُ بهِ عليمٌ، فالعبادُ مع كثرتِهم وفضلِ بعضِهِم لا يجرؤونَ علىٰ الشفاعةِ والتكلمِ إلا بإذنهِ، وذلك لجلالهِ وعظمتهِ.

٥٣. فيها -﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾- ما يدلَّ أن غيرَهُ لا يؤثِّرُ فيه بوجهٍ من الوجوهِ، كما يُؤَثِّرُ في المخلوقينِ مَنْ يشفعُ عندَهُم، فَيَحْمِلَهُم علىٰ الفِعلِ بعد أن لم يكونوا فاعلين، وإنما الشفاعةُ عندَه بإذنهِ، فهو الذي يأذنُ للشفيعِ، وهو الذي يجعلُهُ شَفيعًا، ثم يقبلُ شفاعَتَه، فلا شريكَ له ولا عونَ بوجهٍ من الوجوهِ، وذَلكَ يتضمنُ كمالَ القدرةِ والخلقِ والربوبيةِ والغنىٰ والصمديةِ، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ

ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ * وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١٠٨ - ١١١].

٥٤. فيها فضحٌ لسائرِ التصوراتِ المنحرفةِ للذين جاؤوا من بَعدِ الرسلِ، فخلطوا بين حقيقةِ الألوهيةِ وحقيقةِ العبوديةِ، فزعموا للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أندادًا يشفعونَ عندَه فيستجيبُ لهم حتمًا، أو زعموا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من البشر أولياءَ يستمدونَ سلطانَهُم المطلَق من قرابتِهم له.. ففي ظلِّ هذهِ الحقيقةِ البينة القاطعة تبدو تلكَ التصوراتُ كلُّها مستنكرةً مستبعدةً، لا تخطرُ علىٰ عقلِ سليمٍ، ولا تجولُ في نفس مستقيمة! كما قال تعالىٰ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[يونس: ١٨].

٥٥. فيها نفيٌ لكلِ ما يتعلقُ به المشركون، فليس لغيرِهِ ملكٌ، أو عونٌ، فلم يبق إلا الشفاعةُ، فبين أنها لا تنفعُ إلا بإذنهِ.

٥٦. فيها أن الأمرَ كلَّه للهِ وحدَهُ، فليسَ لأحدٍ مَعَه من الأمرِ شيءٌ، وأعلىٰ الخلقِ وأفضلُهم وأكرمُهُم عنده هم الرسلُ والملائكةُ المقربون، وهم عبيدٌ محضٌ، لا يسبقونَهُ بالقولِ، ولا يتقدمونَ بين يديهِ، ولا يفعلونَ

شيئًا إلا بَعدَ أمرِهِ، أو إذنِهِ لهم، ولا سيَمَا يومَ لَا تَملكُ نفسٌ لنفسٍ شيئًا، فهم مملوكونَ مربوبونَ، أَفعَالُهم مقيدةٌ بأمرِهِ وإذنِهِ، فإذا أشركَ بهم المشركُ واتَّخَذَهم شفعاءَ من دونِهِ، ظنًّا منه أنّه إذا فَعَلَ ذَلكَ تقدموا وشفعوا لَه عندَ الله، فهو من أجهلِ الناسِ بحقِّ الرب سبحانه، وما يجبُ له ويمتنعُ عليه، فإن هذا محالٌ ممتنعٌ، شَبَيهُ قياسِ الربِ تعالىٰ علىٰ الملوكِ والكبراءِ، حيثُ يَتخذُ الرجلُ من خواصِّهِم وأوليائِهم من يشفعُ له عندَهُم في الحوائج، وبهذا القياسِ الفاسدِ عبدتِ الأصنامُ، واتَّخَذ المشركون من دون اللهِ الشفيعَ والولي. فالشفاعةُ بإذنه ليست شفاعةً من دونِهِ، ولا الشَافعُ شفيعًا من دونِهِ؛ بل شفيعٌ بإذنِهِ، والفرقُ بين الشفيعينِ كالفرق بين الشريكِ والعبدِ المأمورِ، فالشفاعةُ التي أبطَلَها اللهُ هي شفاعةُ الشريكِ، فإنّه لا شَريكَ له، والتي أثبَتَها هي شفاعةُ العبدِ المأمورِ، الذي لا يشفعُ ولا يتقدمُ بين يدي مالكِهِ حتىٰ يأذنَ له [1].

٥٧. فيها إثباتُ الإذنِ - وهو الأمرُ بالشفاعةِ- لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

وشروطُ الشفاعةِ: إذنه تعالىٰ في الشفاعة، وإذنه للشافعِ، ورضاه عن المشفوعِ له؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي (١/ ٢٢١)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م.

مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾[النجم:٢٦]، وقولهِ تعالىٰ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وقولهِ تعالىٰ: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾[طه:١٠٩]. فلا شفاعةَ إلا بإذنهِ، ولا يأذنُ إلا لمَن رضِيَ قولَهُ وعملَهُ، ولا يرضَىٰ من القولِ والعملِ إلا توحيدَهُ واتباعَ رسولهِ الكريم.

٥٨. فيها أن اللهَ يشرفُ بعضَ خلقِهُ ويكرمهم بالشفاعةِ، وذلك لمن ارتضىٰ من عبادِهِ من الأنبياءِ والملائكةِ والشهداءِ والصالحين وغيرِهم. فأخبرَ سبحانَهُ أنه ليس للعبادِ شفيعٌ من دونهِ؛ بل إذا أرادَ الله سبحانَه رحمةَ عبدِهِ أَذنَ هو لمن يشفعُ فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾[يونس:٣].

٥٩. فيها بيانُ كمالِ علمِ اللهِ وحكمتهِ، حيثُ حَرَّم الشفاعةَ إلاّ بَعدَ الإذن؛ لأنّهم لا يعلمونَ من يستحقُّ الشفاعةَ، وربّما غرّتْهُمُ الظواهرُ، واللهُ يعلمُ من يستحقُّهَا، فهو يعلمُ ما بين أيدِيهِم وما خَلفَهُم، ولأجل هذينِ المعنيينِ فصلت الجملة عمَا قَبلَها.

٦٠. فيها أنَّ الشفاعةَ التي تكونُ بإذنه لأهلِ الإخلاصِ والتوحيدِ هي في حقِيقتِها تفضلٌ منه عليهم؛ ليغفرَ لَهُم بواسطةِ دعاءِ من أذِنَ اللهُ أن يشفعَ فيهم بكرمه.

٦١. فيها أنه إذا كانت الأمورُ كلُّهَا له ومنه، ولا تنالُ إلا بتوحيدِهِ، فلا ينبغي التعلقُّ بغيرِهِ جل وعلا؛ ولهذا كانَ أهلُ التوحيدِ هم أسعدَ الناس بشفاعتهِ. وقد جاء في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ. أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ)[1].

٦٢. فيها إثباتُ الردِّ علىٰ المشركين من عُبَّادِ الأصنامِ والقبورِ القائلينَ بأن أَصنَامَهم وأولياءهم تشفعُ لهم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾[الروم: ١٣]. فَنَفَىٰ الشفاعةَ الشركيةَ التي كانوا يعتقدونَها هم وأمثَالُهم من المشركينِ، وهي شفاعةُ الوسائطِ لهم عندَ اللهِ في جلبِ ما يَنْفَعُهُمْ ودفعِ ما يضُرُّهُم بذواتِها وأنفسِها، بدون توقفِ ذَلكَ علىٰ إذنِ اللهِ ومرضاتِهِ لمن شاءَ أن يشفعَ فيه الشافع، فهذه هي الشفاعةُ التي أبطَلَها اللهُ سبحانه ونَفَاهَا، وهيَ أصلُ الشركِ كلِّه؛ وقاعدتهُ التي عليهَا بناؤُهُ وأخبيتهُ التي يرجعُ إليها، وأثبتَ سبحانه

(١)كتاب: العلم، باب: الحرص علىٰ الحديث، ح رقم ٩٩.

الشفاعةَ التي لا تكون إلا بإذنِ اللهِ للشافعِ، ورِضاهُ عن المشفوعِ قولهِ وعملهِ، وهي الشفاعةُ التي تنالُ بتجريد التوحيدِ؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ)[1]، والشفاعةُ الأُولىٰ هي الشفاعةُ التي ظَنها المشركونَ، وجعلوا الشركَ وسيلةً إليها، فالمقامات ثلاثٌ:

إحداها: تجريدُ التوحيدِ وإثباتُ الأسبابِ، وهذا هو الذي جاءت به الشرائعُ، وهو مطابقٌ للواقعِ في نفسِ الأمر.

والثانية: الشركُ في الأسبابِ بالمعبودِ كما هو حالُ المشركين علىٰ اختلافِ أصنافهِم.

والثالثة: إنكارُ الأسبابِ بالكلية محافظةً من منكرها علىٰ التوحيدِ، فالمنحرفون طرفانِ مذمومانِ، إما قادحٌ في التوحيدِ بالأسبابِ، وإما منكرٌ للأسبابِ بالتوحيدِ، والحقُّ غيرُ ذَلكَ، وهو إثباتُ التوحيدِ والأسبابِ، وربطُ أحدِهِما بالآخرِ، فالأسبابُ محلُّ حُكمِه الديني والكوني، والحكمانِ عَلَيهَا يجريانِ، بل عليها يترتبُ الأمرُ والنهيُ والثوابُ والعقابُ، ورضَىٰ الربِّ وسخطُهُ وكرامتُهُ ولعنتُهُ. والتوحيدُ

(١) سبق تخريجه في الصفحة الماضية.

تجريدُ الربوبيةِ والإلهيةِ عن كلِّ شرك، فإنكارُ الأسبابِ إنكارُ الحكمةِ، والشركُ بها قدحٌ في توحيده، واثباتُها والتعلقُ بالسببِ والتوكلُ عليهِ والثقةُ بهِ والخوفُ منهُ، والرجاءُ لهُ وحده هو محضُ التوحيد، والمعرفةُ تفرقُ بين ما أثبتَه الرسولُ، وبين ما نفاه، وبين ما أبطلَه، وبين ما اعتَبَرَه، فهذا لونٌ، وهذا لونٌ، والله الموفق للصوابِ[1].

وقال ابن القيم أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ :: " فالتوكلُ من أعظمِ الأسبابِ التي يحصلُ بها المطلوبُ ويندفعُ بها المكروهُ، فمن أنكرَ الأسبابَ لم يستقمْ منه التوكلُ؛ ولكنْ من تمامِ التوكلِ عدمُ الركونِ إلىٰ الأسبابِ، وقطعُ علاقةِ القلبِ بها، فيكونُ حالُ قلبهِ قيامَهُ باللهِ لا بِها، وحالُ بدنهِ قيامَهُ بها، فالأسبابُ محلُّ حكمةِ اللهِ وأمرهِ ودينهِ، والتوكلُ متعلقٌ بربوبيتهِ وقضائهِ وقدرهِ، فلا تقومُ عبوديَّةُ الأسبابِ إلَّا علىٰ ساقِ التوكلِ، ولا يقومُ ساقُ التوكلِ إلا علىٰ قدمِ العبوديةِ. واللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ أعلمُ "[2].

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (٢/ ٢٧٠)، الناشر: دار ابن الجوزي – الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(٢)مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (٢/ ١٤٨)، تحقيق وتعليق: عامر بن علي ياسين، الناشر: دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٦٣. فيها الردُّ علىٰ الخوارجِ والمعتزلةِ في إثباتِ الشفاعة؛ لأن الخوارجَ والمعتزلَةَ ينكرونَ الشفاعةَ في أهلِ الكبائر؛ فمن مذهبِهمَا أن فاعلَ الكبيرةِ مخلدٌ في النارِ لا تنفعُ فيه الشفاعة.

٦٤. فيها أن أمورَ الآخرةِ تختلفُ عن أمورِ الدنيا، فلا تحققُ المطالبُ إلا بحقٍ، فإنَّ الشفاعةَ في الدنيا تقعُ بحقٍ وبغيرِ حقٍ، ولمن يستحقُ ومن لا يستحق، وممن له أهليةُ الشفاعة وممن ليست له الأهلية.

الوقفة السادسة مع قوله تعالىٰ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾:

٦٥. فيها إثباتُ عمومِ علمِ الله بالماضي الذي حدثَ، والحاضرِ الذي يحدثُ، والمستقبلِ الذي سَيَحدثُ، عليمٌ بالظواهرِ والبواطنِ، وبالغيبِ والشهادةِ، وبما يعلمونَه من الأمورِ وما يجهلونَه في كلِّ وقتٍ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾، وكنىٰ بهاتينِ الجهتينِ عن سائرِ الجهات. فالمقصود عموم العلمِ بسائرِ الكائناتِ، فهو يعلمُ ويرَىٰ دَبيبَ النملةِ السوداءِ، في الليلةِ الظلماءِ علىٰ الصخرةِ الصماءِ تحتَ الأرضِ الغبراءِ، ويعلمُ حركةَ الذرِ والبعوضِ، والطيورِ في الهواءِ، والسمكِ في الماءِ، وما هو أدقُّ من ذلك بكثيرٍ، مما أرىٰ اللهُ خلقهُ وأطلَعَهم عليه من الميكروباتِ والكرياتِ، ومما استأثَرَ بعلمه، لا إله إلا هو اللطيفُ الخبيرُ المحيطُ علمه بكلِ شيءٍ، فهو تعبيرٌ يفيدُ العلمَ الشاملَ الكاملَ

المستقصي لكلِّ ما حولَهم، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ﴾[الأنعام: ٣].

٦٦. فيها ما يوجبُ المراقبةَ للهِ تعالىٰ أمَامَ علمِهِ الشاملِ، الذي تقفُ النفسُ أمَامَه مكشوفةً في كلِّ لحظة أمامَ بارئِها الذي يعلمُ ما بين يديْها وما خلفَها، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾[التوبة:٧٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾[الرعد: ٨ - ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [النور:٦٤].

٦٧. فيها ما يوجبُ الاستسلامَ للهِ في أمرِهِ ونهيِهِ؛ لأنه عليمٌ بكلِّ شيءٍ، الظاهر والخفي، حكيمٌ مع كمالِ علمِهِ يضعُ الأمورَ موضِعها قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾[النساء: ١٧٠].

٦٨. فيها الردُّ علىٰ القدريةِ الغلاةِ المنكرين لعلمِ الله وقدرتِهِ؛ لقولِهِ تعالىٰ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾؛ فإثباتُ عمومِ العلمِ يردُّ عليهم؛ لأن

القدريةَ الغلاةَ أنكروا علمَ اللهِ بأفعالِ خلقهِ إلا إذا وقعتْ، فهو المحيطُ بما كان وما هو كائن، محيط بأمور الدنيا والآخرة.

الوقفة السابعة مع قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾:

٦٩. فيها أن اللهَ عَزَّوَجَلَّ لا يُحاطُ به علمًا، كما لا يُحاطُ به سمعًا ولا بصرًا، قال تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]،وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[طه:١١٠].

٧٠. فيها الردُّ علىٰ الممثلةِ المشبهين الله بخلقه؛ لأن قولهَم قولٌ علىٰ اللهِ بلا علم؛ بل بما يعلمُ خلافهُ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١].

٧١. فيها ما يدلُّ علىٰ كمالِ اللهِ جلَ جَلالُه وعظمتِه؛ كقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[الأنعام:١٠٣]. إنما نَفىٰ الإدراكَ، الذي هو الإحاطةُ كما قاله أكثرُ العلماءِ، ولم ينف الرؤيةِ، ونفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم؛ ولأن المعدومَ لا يُرَىٰ، وليس في كونهِ لا يُرىٰ مدحٌ، إذ لو كان كذلك لكان المعدومُ ممدوحًا؛ وإنما المدحُ في كونِهِ لا يحاطُ به وإن رُئي، كما أنه لا يحاطُ به وإن علمَ، فكان في نفي الإحاطةِ من إثباتِ عظمتهِ ما يكون مدحًا وصفة كمال.

٧٢. فيها تحريمُ تكييفِ صفاتِ اللهِ؛ لأن اللهَ ما أعلمنَا بكيفيةِ صفاتِه، فإذا ادَّعَينَا علم ذلك فقد قلنا علىٰ اللهِ بلا علمٍ.

٧٣. فيها أن ما يطلعُ اللهُ عليه عبادَهُ من الأمورِ الشرعيةِ والقدريةِ هو جزءٌ يسيرٌ جدًا مضمحلٌّ في علومِ الباريءِ، كما قال - أعلمُ الخلقِ بِرَبِّهم - الرسلُ والملائكةُ: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢]، وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[المائدة:١٠٩]، وفي قصةِ موسىٰ والخضرِ - عليهما السلام - أنه جاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَىٰ حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ الْخَضِرُ: (يَا مُوسَىٰ مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ)[1].

٧٤. فيها أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي يعلمُ وحدَه كلَّ شيءٍ علمًا مطلقًا شاملًا كاملًا، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا شاء كشفَ للعبادِ بقدرٍ عن شيءٍ من علمِهِ لحكمةٍ يريدُها بالعبادِ، وتصديقًا لوعدِه الحق: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: العلم، باب: مَا يُسْتَحَبُّ لِلْعَالِمِ إِذَا سُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَيَكِلُ الْعِلْمَ إِلَىٰ اللهِ، ح رقم ١٢٢، ومسلم في كتاب: الفضائل، باب: مِنْ فَضَائِلِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ح رقم ٦٣١٣.

ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[فصلت:٣٥].

٧٥. فيها أن كونَ الناسِ لا يعلمون إلا ما شاءَ اللهُ لهم أن يعلَمُوه حقيقةٌ جديرةٌ بأن يتدبرَهَا الناسُ طويلًا؛ وخاصةً في هذا الزمانِ الذي صارَ الناسُ فيه يُفتنونَ بما أظهرَه اللهُ لعبادِه من بعضِ علومِ الكونِ والحياةِ، الذي هو مما أذنَ اللهُ لهم فيه من علمِه، فيفتتنونَ به وينسونَ من له العلمُ المطلقُ، ومن أذنَ لَهم ومنحَهُم الإحاطةَ بهذه العلومِ، فلا يذكرون ولا يشكرون، بل يتبجحون وقد يكفرون.

٧٦. فيها أن الملائكةَ والرسلَ والجنَ والإنسَ لا يعلمون الغيبَ إلا بما أخبرَهم اللهُ به؛ لأنَّهم إذا لم يحيطوا ببعضِ معلوماتِه المتعلقةِ بهم، فمن الأولىٰ أن لا يحيطوا علمًا به سبحانه، فالإحاطةُ: العلمُ بالشيءِ من جميعِ جهاتِه وأنواعه، ومعناه: ولا يحيطون بشيءٍ من علمِ الغيب إلا بما شاء، يعني: إلا بما أخبرَ به الرسل.

٧٧. فيها اختصاصهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالتعليمِ، فإنه الذي يُعلِّمُ العبادَ ما شاءَ من علمِه، وأنه لا علمَ لهم إلا ما عَلَّمَهم، فبيَّن أنه المنفردُ بالتعليمِ والهدايةِ، لا يَعلَمُ أحدٌ شيئًا إن لم يعلِّمْه إياه، كما أنه المنفَردُ بالخلقِ والإحداثِ، فهو الذي خَلَقَ فسوىٰ، وهو الذي قَدَّرَ فهدىٰ، قال تعالىٰ:

﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[سورة العلق:٣-٥]. وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾[النساء:١١٣]. فإن الخلقَ مهما علا قدرُهم لا يعلمونَ إلا ما علَّمَهُم الله جل وعلا، ووهبَهم من العلومِ والمعرفةِ.

٧٨. فيها أن العبادَ لم يؤتوا من العلمِ إلا قليلًا، وأننا لا نَعلَمُ شيئًا من علمهِ إلا ما أعلمَنَا به، فهي تدل علىٰ عجز المخلوق وقصور علمه ومحدوديته؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[الإسراء:٨٥]. فالعبادُ ليس لهم من الأمرِ شيءٌ ولا من العلمِ مثقالَ ذرةٍ إلا ما علَّمَهُم إياه ربهم.

٧٩. فيها ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ ما يفيدُ أنّه سبحانه يُطلعُ أصفياءَهُ من رسلهِ وملائكته علىٰ ما هو من خواص علمِهِ، كقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾[الجن:٢٦-٢٧].

٨٠. فيها إثباتُ مشيئةِ اللهِ؛ لقوله: ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾، وأنه لا يكونُ في الكونِ إلا ما شاءَ اللهُ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾[الإنسان: ٣٠].

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونيةِ الكافيةِ الشافيةِ في الانتصارِ للفرقة الناجية:

وهو العليمُ أحاطَ علمًا بالذي ... في الكونِ من سرٍّ ومن إعلانِ

وبكلِّ شيءٍ علمُهُ سُبحانه ... فهو المحيطُ وليس ذا نِسيان

وكذَاكَ يعلمُ ما يكونُ غدًا وما ... قد كانَ والموجودُ في ذا الآنِ

وكذاكَ أمرٌ لم يكن لو ... كانَ كيفَ يكونُ ذا إمكان[1]

الوقفة الثامنة مع قوله تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾:

٨١. فيها إثباتُ الكرسي، وأنه حقيقة، وليس كما يقول المتأولة بأنَّ المرادَ به صفة العلم لله تعالىٰ.

٨٢. فيها عِظمُ الكرسيِّ؛ وأنه عظيمٌ شاملٌ للسمواتِ والأرض؛ لقولهِ تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾، يقال: وسع: أي ملأ وأحاط به، والصحيحُ أنّه مخلوقٌ عظيمٌ أمامَ العرشِ، فَوقَ السماواتِ السبعِ دونَ العرشِ، وقد جاء عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: " أن الكرسي موضعُ القدمين، ولا يقدر قدر عرشه "[2]. وقد جاء في حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ:

---

(١) القصيدة النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٢/ ١٢).

(٢)أخرجه الحاكم في المستدرك، وصححه ووافقه الذهبي (٢/ ٢٨٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، (٧/ ٤٢)، وقال ابن حجر في الفتح " وروىٰ بن المنذر بإسناد صحيح عن أبي موسىٰ مثله".

(مَثَلُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فِي الْكُرْسِيِّ كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي فَلاَةٍ، وَإِنَّ فَضْلَ الْكُرْسِيِّ عَلَىٰ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، كَفَضْلِ الْفَلاَةِ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَلَقَةِ).

وهي روايةٌ اتفقَ أهلُ العلمِ علىٰ صحتِها[1].

٨٣. فيها أن للهِ سبحانه وتعالىٰ كرسيًّا، هو بين يدي العرش، دونه السماواتُ والأرضُ، فيجبُ الإيمانُ بوجودِهِ، وإن كنا لا ندركُ كنهَه، ولا نعرفُ حقيقَتَه، إذ ليس في مقدورِ العقلِ البشري تصور ذلك.

٨٤. فيها إخبارٌ عن عظمةِ خالقِ الكرسيِّ؛ لأن عِظمَ المخلوقِ يدلُّ علىٰ عظمةِ الخالقِ. ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾، وهذا يدلُّ علىٰ كمالِ عظمتِهِ وسعةِ سلطانِهِ، إذا كانت هذه حالةُ الكرسيِّ الذي هو موضعُ القدمين لله قد وَسِعَ السمواتِ والأرضَ علىٰ عظمتِهِما وعَظمةِ من فِيهما. أي ملأَ وأحاطَ بهما. يقال: فلانٌ يسَعُ الشيءَ سعةً إذا احتملَه وأطاقَه وأمكنَه القيامُ به. ويقال: وسع الشيءُ الشيءَ إذا أحَاطَ به وغَمَره حتىٰ اضمحلَّ في جانبه، والكرسيُّ ليس أكبرَ مخلوقاتِ اللهِ تعالىٰ، بل هُناك ما هو أعظمُ

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص: ٥١٠)، وقال: صحيح، وابن حبان في صحيحه، وصححه، بترتيب ابن بلبان ح رقم ٣٦١، وابن أبي شيبة ح رقم ١٣٢، وصححها الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ١٠) ح رقم ١٠٩.

منه وهو العرشُ، وما لا يعلمهُ إلا هو، وفي عظمةِ هذه المخلوقاتِ تحيَّرُ الأفكارُ وتكلُّ الأبصارُ، فكيفَ بعظمةِ خالقِها ومبدعِها؟

٨٥. فيها ما يوجب الذل والخضوع لله رب العالمين، والمسارعة لعبوديته؛ لأن من أدرك عظمته، سارعَ لعبوديتِهِ، قال تعالىٰ عن المشركين: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر: ٦٧].

٨٦. فيها أن الكرسيَّ أوسعُ من السمواتِ والأرضِ كما هو ظاهرُ الآية. روىٰ الضحاكُ عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: « لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ بُسِطْنَ، ثُمَّ وُصِلْنَ بَعْضُهُنَّ إِلَىٰ بَعْضٍ، مَا كَانَ فِي سِعَتِهِ، يَعْنِي: الْكُرْسِيَّ، إِلا بِمَنْزِلَةِ الْحَلَقَةِ فِي الْمَفَازَةِ»(١).

وعن أبي ذرٍّ الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سألَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الكرسيِّ، فقال رسول الله: « والذي نفسي بيده ما السمواتُ السبعُ والأرضون السبعُ عندَ الكرسي إلا كحلقةٍ ملقاةٍ بأرض فلاةٍ، وإن فضلَ

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٢٦٠) ح رقم ٢٦٠٠، والدر المنثور للسيوطي (٢/ ٢٨٣)، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣/ ٢٣٢)، وقال: " رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ".

العرشِ علىٰ الكرسيِّ كَفَضْلِ الْفَلاَةِ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَلَقَةِ»[1]. وفي ذلك بيان لعظمتهِ تعالىٰ كما قالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر: ٦٧].

٨٧. فيها إثباتُ العلوِ لله تعالىٰ، ومثلُهُ قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[سورة طه:٥]، وكقوله تعالىٰ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة:١٧]، وكقولهِ تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[سورة السجدة:٥] إلىٰ غيرِ ذَلكَ من الآياتِ، فربُّنا علىٰ العرشِ استوىٰ استواءً يليق بكمالهِ وعظمتهِ وعلوهِ، وسَعَ كرسيُّه السمواتِ والأَرضَ، ولم تسعْه أَرضُه ولا سماواتُه ولم تحطْ به مخلوقَاتُه، بل هو العالي علىٰ كلِّ شيءٍ، وهو بكلِّ شيءٍ محيطٌ.

٨٨. فيها كفرُ من أنكرَ السمواتِ والأرضَ؛ لأنه يستلزمُ تكذيبَ خَبرِ اللهِ؛ أما الأرضُ فلا أظنُّ أحدًا ينكرُها؛ لكن السماء أنكرَها من أنكرَها،

---

(١) أخرجه: محمد بن أبي شيبة في " كتاب العرش " (١/ ١١٤)، والبيهقي في " الأسماء و الصفات " (ص:٢٩٠) وابن حبان بترتيب ابن بلبان ح رقم ٣٦١، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٢٦٠)، والسيوطي في الدار المنثور (٢/ ٢٨٣)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٤٥)، وقال ابن حجر في الفتح، (١٠/ ١٩٠): " صححه ابن حبان، وله شاهد عن مجاهد أخرجه سعيد بن منصور في التفسير بسند صحيح عنه، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح رقم ١٠٩.

وقالوا: ما فوقَنا فضاءٌ لا نهايةَ له، ولا حدودَ، وإنما هي سدومٌ ونجومٌ، وما أشبهَ ذلكَ، وهذا لا شكَّ أنه كفرٌ باللهِ العظيمِ سواء اعتقَدَه الإنسانُ بنفسهِ ووهمهِ، أو صدَّقَ من قالَ به ممن يُعظمهُمُ إذا كان عالمًا بما دلَّ عليه الكتابُ والسنّةُ [1].

الوقفة التاسعة مع قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾:

٨٩. فيها أنَّه سبحانه وتعالىٰ لا يشقُّ عليه، ولا يثقلُه حفظُ السمواتِ والأرضِ؛ لقولهِ تعالىٰ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾، يقال: آده الأمر أودًا إذا بلغ منه الجهد والمشقة، فهو الذي أمسكَ السماواتِ والأرضَ أن تزولا من غيرِ تعبٍ ولا نصبٍ، وهذه من الصفاتِ المنفيةِ، فهي كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾[ق: ٣٨].

٩٠. فيها إثباتُ قوةِ اللهِ؛ لقولهِ تعالىٰ ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾أي: لا يثقلُهُ ولا يكرثُهُ حفظُ السمواتِ والأرضِ ومن فيهما ومن بينهما، بل ذلك سهلٌ عليه، يسيرٌ لديه، فإنَّه لا يلحَقُه أدنىٰ مشقةٍ ولا أيسرُ كلفةٍ في حفظِ المخلوقاتِ، وهو القائمُ علىٰ كلِّ نفسٍ بما كسبتْ، الرقيبُ علىٰ جميعِ الأشياءِ، فلا يعزبُ عنه شيءٌ، والأشياءُ كلُّها صغيرةٌ بين يديه، متواضعةٌ ذليلةٌ صغيرةٌ

---

(١) تفسير القرآن لمحمد بن صاح العثيمين (٥/ ٢٠٤).

بالنسبةِ إليه، محتاجةٌ فقيرةٌ إليه، وهو الغنيُّ الحميدُ الفعالُ لما يريدُ، الذي لا يسألُ عما يفعلُ وهم يسألون، وهو القاهرُ لكلِّ شيءٍ، الحسيبُ علىٰ كلِّ شيءٍ.

٩١. فيها أنَّ اللهَ تبارك وتعالىٰ لَا يَشْغَلُهُ شأنٌ عن شأنٍ، ولا سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، ولا يثقلُ عليه حفظُ شيءٍ في السمواتِ والأرضِ، وَلَا تُغْلِطُهُ الْمَسَائِلُ؛ بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ يُكَلِّمُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُحَاسِبُهُمْ لَا يَشْغَلُهُ هَذَا عَنْ هَذَا. قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَيْفَ يُكَلِّمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلُّهُمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ؟ قَالَ:(كَمَا يَرْزُقُهُمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ). وَاللهُ سُبْحَانَهُ فِي الدُّنْيَا يَسْمَعُ دُعَاءَ الدَّاعِينَ، وَيُجِيبُ السَّائِلِينَ؛ مَعَ اخْتِلَافِ اللُّغَاتِ وَفُنُونِ الْحَاجَاتِ[1].

٩٢. فيهَا إثباتُ ما تتضمنه هذه الجملةُ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾، وهو العلمُ، والقدرةُ، والحياةُ، والرحمةُ، والحكمةُ، والقوةُ؛ لأن ذلك مستلزمٌ لكمالِ قدرتهِ وتمامِها، بخلافِ المخلوقِ القادرِ، إذا كان يقدرُ علىٰ الشيءِ بنوعِ كلفةٍ ومشقةٍ، فإن هذا نقصٌ في قدرتهِ، وعيبٌ في قوتهِ، وكذلك قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٥/ ١٣٣)، وقد بحثت عن أثر ابن عباس فلم أجده في الكتب المسندة.

﴿ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[سبأ:٣] فإنَّ نفيَ العزوبِ مستلزمٌ لعلمه بكلِّ ذرةٍ في السمواتِ والأرضِ، وكذلك قوله: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾[ق:٣٨]. فإنَّ نفيَ مَسِّ اللغوبِ الذي هو التعبُ والإعياءُ دالٌّ على كمالِ القدرةِ ونهايةِ القوةِ، بخلافِ المخلوقِ الذي يلحقُه من التعبِ والكلالِ ما يلحقُه.

٩٣. فيها أنّ السمواتِ والأرضَ تحتاجُ إلى حفظٍ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ ولولا حفظُ اللهِ لفسدتا؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فاطر:٤١].

٩٤. فيها بيانٌ لكمالِ غنى اللهِ عن خلقِهِ وحاجةِ جميعِ الخلقِ إليه، حتى السمواتِ والأرضِ والجبالِ والبحارِ وغيرِها مع عظمتِها.

الوقفة العاشرة مع قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾:

٩٥. فيها إثباتُ علوِّ اللهِ سبحانه وتعالى أزلًا وأبدًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾؛ و{العلي} صفةٌ مشبهةٌ تدلُّ على الثبوتِ والدوامِ.

٩٦. فيها إثباتُ العلوِّ المطلقِ من جميعِ الوجوهِ، علوُّ الذاتِ بكونهِ فوقَ جميعِ الخلقِ على العرشِ استوى، وعلوُّ القَدرِ فله كلُّ صفاتِ الكمالِ،

وعلوُّ القهرِ لجميعِ المخلوقاتِ، وصفةُ العلوِّ مما تواطَأَ عليه العقلُ والنقلُ، وفطرَ اللهُ الخلقَ علىٰ ذلك، وعلوُّ اللهِ عند أهلِ السنةِ والجماعةِ ينقسمُ إلىٰ قسمينِ:

الأول: علوُّ الذاتِ بمعنىٰ أنه سبحانه فوقَ كلِّ شيء، وقد دلَّ علىٰ ذلك الكتابُ والسنةُ وإجماعُ السلفِ، والعقلُ والفطرةُ.

والقسم الثاني: علوُّ الصفةِ: وهو أنه كاملُ الصفاتِ من كلِّ وجهٍ لا يساميه أحدٌ في ذلك، وهذا متفقٌ عليه بين فرقِ الأمةِ، وإن اختلفوا في تفسيرِ الكمالِ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولـه العلوُّ من الوجوهِ جميعِها ... ذاتًا وقهرًا مع علوِّ الشأن

وعلـوُّهُ فَوقَ الخليقةِ كلِّها ... فُطرت عليه الخلقُ والخلقان

لا يستطيعُ معطلٌ تبديلَها ... أبدًا وذلك سنةُ الرحمنِ

كلٌ إذا ما نابَه أمرٌ يرىٰ ... متوجهًا بضرورةِ الإنسانِ

نحو العلوِّ فليس يطلب خلفَه ... وأمامَه أو جانبَ الإنسان[1]

(١) القصيدة النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (١/ ٤٠).

٩٧. فيها أن وصفَه جل وعلا بالعلوِّ المطلقِ من صفاتِ المدحِ اللازمةِ له، فلا يجوزُ اتصافُه بضدِ العلوِّ البتةِ؛ ولهذا قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديثِ الصحيحِ: (اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيءٌ)[1].

٩٨. فيها أن إثباتَ العلوِّ المطلقِ للهِ لا يناقضُه ما جاءَ من أدلةٍ عن نزولِهِ وإتيانِهِ، ونحو ذلك من أفعالٍ قائمةٍ به تحصلُ بمشيئتِهِ وقدرتِهِ، فأهلُ السنةِ والجماعةِ يثبتونَ هذه الأدلةَ علىٰ ظاهرِها اللائقِ به؛ كما في سائرِ ما وصفَ به نفسَه، وهو: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[الشورىٰ:١١]، لا في ذاتِهِ ولا في صفاتِهِ ولا في أفعالِهِ. يقولونَ ينزلُ نزولًا يليقُ بجلالِهِ، وكذلك يأتي إتيانًا يليقُ بجلالِهِ، وهو عندهم ينزلُ ويأتي كيف شاء ولم يزلْ عاليًا، وهو فوق العرشِ كما قالَ حمادُ بن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هو فوق العرشِ يقربُ من خلقِهِ كيف شاءَ"، وقالَ إسحاقُ بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " ينزلُ ولا يخلو منه العرشَ "، ونُقِلَ ذلك عن أحمدِ بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالتِهِ إلىٰ مسددٍ. فنزولُهُ لا يماثلُ نزولَ المخلوقينَ، فهو نزولٌ يختصُ به؛ كما أنه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ، ح رقم ٧٠٦٤.

في ذلك وفي سائرِ ما وصفَ به نفسَه ليس كمثلِه شيءٌ في ذلك، وهو منزَّهٌ أن يكونَ نزولُه كنزولِ المخلوقينَ، وحركتِهم وانتقالِهم وزوالِهم مطلقًا؛ لا نزول الآدميين ولا غيرهم، فالمخلوقُ إذا نزلَ من علوٍّ إلىٰ سفلٍ زالَ وصفهُ بالعلوِّ، وتبدلَّ إلىٰ وصفِه بالسفولِ، وصارَ غيرُه أعلىٰ منه، والربُّ تعالىٰ لا يكونُ شيءٌ أعلىٰ منه قطٌّ؛ بل هو العلي الأعلىٰ، ولا يزالُ هو العلي الأعلىٰ مع أنه يقربُ إلىٰ عبادِه، ويدنو منهم، وينزلُ كيف شاءَ، ويأتي كما شاءَ، وهو في ذلك العلي الأعلىٰ الكبير المتعالِ، عليٌّ في دنوه، قريبٌ في علوه، فهذا وإن لم يتصفْ به غيرُه فلعجزِ المخلوقِ أن يجمعَ بين هذا وهذا، كما يعجزُ أن يكونَ هو الأولَ والآخرَ والظاهرَ والباطنَ، ولهذا قيل لأبي سعيدٍ الخراز: بِمَ عرفتَ اللهَ؟ قال: بالجمعِ بين النقيضينِ"[1].

٩٩. فيها الردُّ علىٰ الحلوليةِ، وعلىٰ المعطلةِ النفاةِ، فالحلوليةُ قالوا: إنه ليس بعالٍ؛ بل هو في كلِّ مكانٍ، قالوا: إنه في كلِّ مكانٍ في السماءِ والأرضِ، وهؤلاء حلوليةُ الجهميةِ ومن وافقهم، وقولُهم باطلٌ بالكتابِ والسنّةِ وإجماعِ السلف، والعقلِ والفطرةِ. والمعطلةُ النفاةُ قالوا: لا

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٦/ ٣٩٨، ٤٢٤).

يوصفُ بعلوٍّ، ولا سفلٍ، ولا يمينٍ، ولا شمالٍ، ولا اتصالٍ، ولا انفصالٍ؛ قالوا: إنه لا يوصفُ بعلوّ، ولا غيره، فهو ليس فوق العالم، ولا تحتَه، ولا عن يمينٍ، ولا عن شمالٍ، ولا متصلٍ، ولا منفصلٍ، وهذا قولٌ يكفي تصورهُ في ردِّه؛ لأنه يَؤولُ إلىٰ القولِ بالعدمِ المحضِ؛ بل بالممتنع؛ إذ ما من موجودٍ إلا وهو فَوقَ، أو تَحت، أو عن يمينٍ، أو شمالٍ، أو متصلٌ، أو منفصلٌ. فالحمدُ لله الذي هدانا للحقِّ، ونسألُ الله أن يثبتنَا عليه.

١٠٠. فيها التحذيرُ من الطغيانِ علىٰ الغيرِ؛ لقوله تعالىٰ ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾؛ ولهذا قالَ اللهُ في سورةِ النساءِ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ [النساء:٣٤]. فإذا كنتَ متعاليًا في نفسِكَ فاذكرْ علوَّ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وإذا كنتَ عظيمًا في نفسِكَ فاذكرْ عظمةَ اللهِ، وإذا كنتَ كبيرًا في نفسِكَ فاذكرْ كبرياءَ اللهِ.

١٠١. فيها تأكيدٌ لما فطرتْ عليه الخليقةُ، فهي تقصدُ رَبهَا في جهةِ العلو، لا تلتفتُ عن ذلك يمنةً ولا يسرةً، وجاءت الشريعةُ بالعبادةِ والدعاءِ بما

يوافقُ الفطرةَ بخلافِ ما عليه أهلُ الضلالِ من المشركينَ والصابئينَ من المتفلسفةِ وغيرِهم، فإنهم غيرَّوا الفطرةَ في العلمِ والإرادةِ جميعًا.

١٠٢. فيها إثباتُ العظمةِ لله عَزَّوَجَلَّ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾، فهو عظيمُ الذاتِ، عظيمُ الصفاتِ، عظيمُ القدرِ، عظيمُ الفضلِ، له العظمةُ المطلقةُ، الذي يتضاءلُ عندَ عظمتِهِ جبروتُ الجبابرةُ، وتصغرُ في جانبِ جلالِهِ أنوفُ الملوكِ القاهرةِ، فسبحان من لَه العظمةُ الكاملةُ، والكبرياءُ التامةُ، والقهرُ والغلبةُ لكلِّ شيء.

١٠٣. فيها ما يفيدُ أن العالمَ العلويَّ والسفليَّ بالنسبةِ إلىٰ الخالقِ تعالىٰ في غايةِ الصغرِ، كما دلت عليه النصوصُ من الكتابِ والسُّنةِ، ولا نسبةَ لها إلىٰ عظمةِ البارئ بوجهٍ من الوجوه، وهي في قبضتِهِ أصغرُ من ما تتصوره العقول.

١٠٤. فيها ما يملأُ القلبَ مهابةً من اللهِ وعظمتِهِ وجلالِهِ وجمالِهِ وكمالِهِ، ويجعلُهُ يسبحُ بحمدِه وينيبُ إليه، فهو العظيمُ الذي له جميعُ أوصافِ العظمةِ والكبرياءِ، وله التعظيمُ الكاملُ في قلوبِ أنبيائِهِ وأصفيائِهِ وملائكتِهِ، فلا أعظم منه ولا أكبر. قال تعالىٰ: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

١٠٥. فيها ما يفيدُ تفردَ اللهِ سبحانه بالعلوِّ، وتفردَهُ سبحانَه بالعظمةِ. فهنالكَ إثباتُ صفةِ كمالٍ حصلَتْ باجتماعِ الوصفينِ؛ وهما العلوُّ، والعظمةُ، والتعبيرُ علىٰ هذا النحو يتضمنُ معنىٰ القصرِ والحصرِ، فلَم يقلْ وهو عليٌّ عظيمٌ، ليثبتَ الصفةَ مجردَ إثباتٍ. ولكنّه قال: ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ ليقصرَهَا عليه سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بلا شريك!

١٠٦. فيها بيانُ الحكمةِ الربانيةِ من اقترانِ هذينِ الاسمينِ الدالينِ علىٰ علوِّهِ وعظمتهِ، " فاسمُ العلي الدالُّ علىٰ أَنه الظاهرُ، وأَنه لا شيء فوَقَه، واسمُ العظيم الدالُّ علىٰ الإِحاطةِ، وأَنه لا شيءَ دونهَ...وهو تَبَارَكَ وتعالىٰ كما أَنَّه العالي علىٰ خلقهِ بذاتهِ فليسَ فوقَه شيءٌ، فهو الباطنُ بذاتهِ فليسَ دونهَ شيءٌ؛ بل ظَهَرَ علىٰ كلِّ شيءٍ فكانَ فَوقهَ، وبطَنَ فكانَ أَقربَ إِلىٰ كلِّ شيءٍ من نفسهِ، وهو محيطٌ به حيثُ لا يحيطُ الشيءُ بنفسهِ، وكلُ شيءٍ في قبضتهِ وليس شيءٌ في قبضةِ نفسهِ "[1].

١٠٧. فيها ما يورثُ الأدبَ في حقهِ جل وعلا، والتحرجُ من الاستكبارِ عن عبوديته أو علىٰ عباده، وهو الذي خضعَ لعظمتهِ كلُّ شيءٍ، قال تعالىٰ:

---

(١) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين (٥/ ٨)، الناشر: دار ابن رجب، المنصورة، ط٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].

المطلب الخامس

التناسق الموضوعي في آية الكرسي

لما كانت آيةُ الكرسي هي سيدةُ آي القرآنِ لما بيَّنه اللهُ تعالىٰ فيها من معاني التوحيدِ وأدلَتِهِ بما يثبتُ له كلَّ كمالٍ، وينفي عنه كلَّ نقصٍ، في أحكمِ نظامٍ، وأبدعِ أسلوبٍ لا يوجدُ مثلُه في غيرها؛ تأملتُ طويلًا في جملِها ومعانيها، وفي نظمِها وأسلوبِها، بعد ما استنبطتُ ما فيها من فوائدٍ وهداياتٍ، فوقفتُ علىٰ أسرارٍ عجيبةٍ من التناسقِ الموضوعي بين كلماتِها وجملِها، كلُّ واحدةٍ منها تسلمُ نفسَها لأختِها، وتأتي أختُها لتكملَ معانيها، وتجلي مضامينها، وما أن ختمتُ الآيةَ حتىٰ انثنتْ لتسلمَ نفسَها لمقدمتِها، ليتوافقَ البدءُ والختمُ في صورةٍ تلامسُ النفسَ في دواخلِها، وتجعلُ القلبَ يسبحُ للذي أعجزَ الخلقَ من خلالِ بيانِه المبينِ عن نفسِه وشرعِه، بصورةٍ تعجزُ النفوسَ عن إدراكِ غورِه، وبلوغِ ذروتِه[1].

فقد افتتحتْ هذه الآية بالاسمِ العلمِ الأعظمِ المختصِّ به جل وعلا، الذي لم يتسم به غيره، والذي مرجعُ الأسماءِ الحسنىٰ والصفاتِ العلىٰ

---

(١) وأنا في ختام هذه الآية أشعر بأنِّي في حاجة لأبتدئ دراستها بأوجه أخرىٰ كثيرة، سبحان من لا يشبع من كلامه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلَق عن كثرة الرد.

جميعِها إليه، وهو لفظُ الجلالة: ﴿ٱللَّهُ﴾، ثم أثبتتْ له كمالَ وحدانيتِه، الذي هو مقصودُ الشرائعِ وبعثةِ الأنبياء، فقالَ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

ولما بيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحدانيتَه، أثبتَ استحقاقَه لذلك بكمالِ صفاتِه، وتنزهَه عن شوائبِ النقصِ، فذكرَ أولًا حياتَه، فقالَ: ﴿ٱلْحَيُّ﴾، وبيَّنَ كمالَ حياتِه بما يدلُ علىٰ أزليتِها وأبديتِها بوصفِ القيوميةِ، فقالَ: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ أي: القائمُ بنفسِه، المقيمُ لغيرِه علىٰ الدوامِ، علىٰ أعلىٰ ما يكون من القيامِ والإقامةِ. ثمَّ بيَّنَ كمالَ حياتِه وقيوميتِه بما ينفي عن نفسِه كلَّ شوائبِ النقصِ والعيبِ بقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

ولما نفىٰ عن نفسِه النقصَ والعيبَ بلفظِ الأخذِ الذي هو بمعنىٰ القهرِ والغلبةِ، بيَّنَ كمالَ ملكِه وقهرِه وغلبتِه من خلالِ قولِه: ﴿لَّهُۥ﴾ دون غيره من الخلقِ ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾. فليس له شريكٌ في الملكِ والتدبيرِ والتصرفِ في الملأِ الأعلىٰ من ملائكةٍ، أو في الأرضِ من نبي أو ولي وغيرهما.

قال الحرالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وسلبَ بالجملةِ الأولىٰ أمرَ الملكوتِ من أيدي الملائكةِ إلىٰ قهرِ جبروتِه، والآثارَ من نجومِ الأفلاكِ إلىٰ جبرِه،

وسلبَ بالجملةِ الثانيةِ الآثارَ والصنائعَ من أيدي خليفتِه وخليقتِهِ إلىٰ قضائِه وقدرهِ وظهور قدرته "[1].

ولما توهمَ أهلُ الشركِ خروجَ شيءٍ من قبضتِه وأمرِه، قالَ تعالىٰ مستنكرًا ذلك عليهم: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾، فلا يشفعون بغير إذنه لعجزٍ في سلطانِهم، ونقصٍ في علمِهم.

ولما نفىٰ الشفاعةَ إلا من بعد إذنِه - لما له من كمالِ الملكِ والسلطانِ - بين كمالَ علمهِ المحيطِ بهم، وبما لم ينلْه علمُهم؛ لذا فهم لا يشفعون إلا بإذنه، فقال: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾.

ولما بين قهرَه لهم بعلمِه كما قهرهم بسلطانه بين عجزَهم عن علمِ شيءٍ من علمِه إلا ما أفاضَ عليهم برحمتِه، فقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ﴾ أي قليل ولا كثير ﴿مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾.

ثم لما بين إحاطةَ علمِه بكلِّ شيءٍ، بين سعةَ سلطانِه الذي أحاطَ به علمًا، فقال: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾.

---

(١) نظم الدرر، للبقاعي (١/ ٤٩٦).

ولما بين سعةَ سلطانهِ بين كمالَ قدرتهِ التي تمَّ بها حفظُ سلطانِه الواسعِ، فقالَ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ أي ولا يثقلُه ﴿حِفْظُهُمَا﴾ كما يثقلُ غيرَه أو يعجزُه حفظَ ما ينشئه، بل هو عليه يسيرٌ؛ لأنه لو أثقلَه لاختلَّ أمرُهما ولو يسيرًا.

ولما بين وحدانيتَه، وكمالَ حياتهِ، وقيوميتَه، وملكَه، وتفردَه في سلطانه، وشموليةَ علمهِ، وكمالَ إرادتهِ، وعظمةَ وسعةَ خلقِه، وكمالَ قدرتِه وحفظهِ بصورةٍ لا يؤدُوه شيء، بما يدلُّ علىٰ تفردِه عن الكفءِ والمثيلِ، وينزهُهُ عن كلِّ عيبٍ وعجزٍ وجهلٍ، بما يظهرُ كمالَ علوِّه وعظمتَه بصورةٍ قاهرةٍ قاطعةٍ، ختمَ هذه الآية بعطفٍ يتناسبُ مع كلِّ دلالاتِها، فقال: ﴿وَهُوَ﴾ أي مع ذلك كله المتفرد بأنه ﴿ٱلْعَلِىُّ﴾ أي الذي لا رتبة إلا وهي منحطة عن رتبتِه، ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي له العظمة المطلقة.

ولما كان افتتاحُ الآيةِ بالاسمِ العلمِ الأعظمِ الجامعِ لجميعِ معاني الأسماءِ الحسنىٰ علوًا وعظمةً، ختمه بهذين الاسمين الدالين علىٰ كمالِ علوِه وعظمتهِ فختمتْ الآيةُ بما بدئتْ به من معنىٰ العظمةِ.

ومع تميزِها بحسنِ الافتتاحِ والختام، وعظيمِ المعاني، فقد كررَ اسمُهُ عَزَّوَجَلَّ ظاهرًا ومضمرًا في ثمانيةَ عشرَ موضعًا فيها، وضمت خمسين كلمة، واشتملت علىٰ عشرِ جملٍ مستقلة، متعلقةٍ بالذاتِ الإلهيةِ، تمثلُ كلُّ جملةٍ

منها قاعدةً يقومُ عليها المعتقد الصحيح، ناطقةً كلها بكمالِ ذاتهِ وصفاته، بما لا يوجد مثله كذلك في بقية آيات الكتاب المبين.

الخاتمة:

من خلال الدراسة السابقة توصل الباحث لأهم النتائج والتوصيات الآتية:

أ – أهم النتائج:

١. لم يثبت في فضلِ آيةٍ من القرآنِ الكريم ما ثبت لآيةِ الكرسي، فقد نصَّ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أنَّها أعظم آية في كتابِ الله، وأنها تحفظُ من قرأها من الشرورِ، وتطردُ عنه الشياطين، وهي سببٌ لمن قرأها دبرَ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ في دخولِ الجنة، وأنها مشتملةٌ على اسمِ الله الأعظم، وقد جمعَ اللهُ تعالىٰ فيها من معاني التوحيد ما لا يوجد مثله في غيرِها من سائرِ الآيات، بما يجعلها محل العناية والبحث والدارسة.

٢. هنالك تناسبٌ عجيبٌ بين آية الكرسي وما قبلها من الآيات وما بعدها، فقد ختمت الآية التي قبلها بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فجاءت آية الكرسي لتبين حقيقة وقبح ذلك الظلم، ولما بين الله فيها توحيده بما يقطع حجج المشركين بين بعدها بأنه قد تبين الرشد من الغي فلا حاجة لإكراه أحد في الدين؛ فإن أعلامه صارت ظاهرة لكل ذي حجر.

٣. اشتملت آية الكرسي علىٰ أمهات مسائل التوحيد، فهي تدلُّ علىٰ توحيدِ الإلهيةِ، وتوحيدِ الربوبيةِ، وتوحيدِ الأسماءِ والصفاتِ، تدل علىٰ تفرده جل وعلا بالوحدانية والجلال والجمال والكمال والعظمة، فهو متصف بالحياة الكاملة، قائم بنفسه، قائم علىٰ غيره، منزه عن التغير والفتور، مالك الملك والملكوت لكل ما في السموات والأرض، محيط السلطان، شامل العلم، كامل المشيئة، وواسع الملك والقدرة، له العظمة والكبرياء والعلو المطلق علىٰ جميعِ مخلوقاتهِ، فهذه الآية تمثلُ بمفردِها عنوانًا لأبوابِ العقيدةِ الصحيحةِ. قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " فهذه الآيةُ بمفردِها عقيدةٌ في أسماءِ اللهِ وصفاته، متضمنةٌ لجميعِ الأسماءِ الحسنىٰ والصفات العلىٰ "[1].

٤. اشتملت آية الكرسي علىٰ خمسةِ أسماءٍ حسنىٰ لله تعالىٰ، إليها مرجع جميع الأسماء والصفات، وهي: " الله، الحي، القيوم، العلي، العظيم"، كما اشتملت علىٰ ما يزيد عن عشرين صفةً، تدلُ علىٰ كمالهِ وجلالهِ وعظمتهِ وكبريائه".

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (ص: ١١)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٥. اشتملت آية الكرسي علىٰ تنزيه الله تبارك وتعالىٰ عن كل صفة نقص، وعيب، وعجز، بما يثبت له الكمال المطلق جل جلاله.

٦. أن من عرفَ اللهَ بصفاتِهِ الحقَّةِ التي جاءت في هذه الآية الكريمة لا يكون في قلبِهِ تعلقٌ بغيرِهِ من الشفعاءِ الذين يعظمُهم المغرورونَ حتىٰ أوقعهم ذلك في الإشراكِ باللهِ، فخوتْ قلوبُهم من ذكرِ الله، وخلتْ نفوسُهم من خشيتِهِ، وعظَّموا الخلقَ وتركوا تعظيمَ الخالقِ جهلًا منهم بما يجبُ عليهم معرفتُهُ من مثلِ هذه المعاني العظيمة.

٧. تضمنت آية الكرسي ما يكشفُ سفهَ عقولِ الذين عبدوا غَيرَه، ممن ليسَ له العلوُّ ولا العظمةُ ولا العلمُ ولا القدرةُ ولا الحياةُ الكاملةُ والقيوميةُ المطلقةُ، وإن المرء ليتعجب ممن يقرأون هذه الآية في الصباح والمساء، ثم يعظمون غيره ويخضعون لسواه، ويعبدون من لا يملكُ لهم ضرًا ولا نفعًا فعظموا القبور، وقدموا لأهلها النذور، ودعوهم من دون الله، وطافوا حولها كما يطاف بالبيت العتيق تقربًا.

٨. قد وفَّتْ آية الكرسي بكلِّ معاني التوحيدِ وأدلته علىٰ أتمِّ وجهٍ في البيان، في أحكمِ نظامٍ، وأبدعِ أسلوبٍ لا يوجدُ مثلُه في غيرها؛ في تناسقٍ موضوعي عجيب بين كلماتِها وجملِها، كلُّ واحدةٍ منها تسلمُ نفسَها

لأختِها، وتأتي أختُها لتكملَ معانيها، وتجلي مضامينها، وما أن ختمتْ الآيةَ حتىٰ انثنتْ لتسلمَ نفسَها لمقدمتِها، ليتوافقَ البدءُ والختمُ.

٩. يتبينُ للمسلم الذي يتدبر هذه الآية لمَ كانتْ سيدةَ آي القرآنِ الحكيمِ؟ ولمَ استُحِبَّ قراءتُها في الصباحِ والمساءِ، وبعد الصلاةِ المكتوبةِ، وعندَ النومِ؟ وذلك لما اشتملت عليه من المعاني العظيمةِ بذاتِ اللهِ تعالىٰ وأسمائه وصفاتِه، ونفي النقصِ عنه جل وعلا، وإثباتِ الكمالِ المطلقِ له، فحقيقٌ بآيةٍ احتوتْ علىٰ المعاني الجليلةِ أن تكونَ أعظمَ آيةٍ في كتابِ اللهِ، ويحقُّ لمن قرأَها بتدبرٍ وتفهمٍ أن يمتلئَ قلبُه إيمانًا وخشيةً ويقينًا وثقةً باللهِ، وأن يكونَ محفوظًا من الشيطانِ الرجيمِ.

ب – التوصيات:

يوصي الباحث: بتجلية معاني العقيدةِ الصحيحة في قلبِ كلِّ مسلم؛ بصورةٍ واضحةٍ من خلالِ ما بينه الله تعالىٰ في كتابه، وبينه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من خلال دراسات عميقة لآيات التوحيد ومسائل الإيمان، وما غلبت الشعوذةُ والخرافةُ في كلِّ المجتمعاتِ الجاهلية، وعُبِدَ غيرُهُ، وتعلقَ الخلقُ بسواه إلا بعدَ أن ضعفَت معرفةُ الخلقِ بخالقهم، وبعدت الأمة عن هدي كتابه المبين.

اللهم إنِّي آمنتُ بكتابِك الذي أنزلته، ورسولكِ الذي أرسلته ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧].

هذا؛ والله أعلم، والحمد لله على فضـــلِه وإنعامه، وتوفيقِه وإحســـانه جمعتُ وحررتُ هذه الفوائد والهدايات بجوار البيتِ العتيقِ، ببلدِ الله الحرام، مهبط الوحي، ومحط أفئدة المؤمنين في ١٥/٧/ ١٤٣٤هـ

فهرس المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري تحقيق: أبي عبدالرحمن عادل بن سعد، وأبي إسحاق السيد محمود بن إسماعيل، ط١: ١٤١٩هـ. مكتبة الرشد، الرياض.

٣. إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، للقاضي محمد بن محمد بن مصطفىٰ المعروف بأبي السعود، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٤. الأسماء والصفات، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسىٰ البيهقي، ط: دار الكتب العلمية ببيروت، بدون تاريخ.

٥. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبوعبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م.

٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ط: دار صادر، بيروت، ط١: ٢٠٠١م.

٧. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، للشيخ أبو بكر جابر الجزائري، ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٣: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٨. بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، ط: دار الفكر، بيروت.

٩. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٠. التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط: دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧ م.

١١. التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤: سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٢. تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد بن علي رضا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٣. تفسير القرآن العظيم، لأبي مظفر السمعاني منصور محمد عبد الجبار التميمي، تحقيق: ياسر ابراهيم، ط: مدار الوطن للنشر، الرياض، ط٢: ١٤٣٢هـ-٢١١م.

١٤. تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن كثير الدمشقي، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٥. تفسير القرآن الكريم، لابن عثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ.

١٦. تفسير آيات الأحكام، محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: صلاح الدين محمود السعيد، ط: دار الغد الجديد، القاهرة، ط١: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٨. جامع البيان جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٩. الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: محمد إبراهيم الخناويِّ، ومحمود حامد عثمان، ط: دار الحديث، القاهرة، ط: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٠. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ط: دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣.

٢١. دلائل النبوة، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسىٰ البيهقي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، صدر عن دار الفكر ببيروت، ١٤١٨هـ.

٢٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، ضبطه وصححه علىٰ عبد الباري عطيَّة، ط: المكتبة العلمية، بيروت، ط١: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٣. زاد المسير لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط: المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣: ١٤٠٤هـ.

٢٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها لمحمد ناصر الدين الألباني، ط:المكتب الإسلامي، دمشق، ١٤٠٥هـ.

٢٥. سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ط: إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

٢٦. سنن الترمذي لمحمد بن عيسىٰ أبو عيسىٰ الترمذي ط: دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

٢٧. السنن الكبرىٰ لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: دكتور عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، ط: دار الكتب العلمية بيروت، ط١: ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٢٨. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد بسيوني زغلول، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٠ ١٤١٠:١هـ.

٢٩. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٣٠. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

٣١. صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض ١٤٠٠هـ.

٣٢. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط:رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض ١٤٠٠هـ.

٣٣. صحيح وضعيف الجامع وزيادته لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢: ١٣٩٩هـ.

٣٤. الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة - الرياض، ط٣، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

٣٥. طريق الهجرتين وباب السعادتين، الناشر: دار ابن رجب، المنصورة، ط٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٣٦. الفتاوىٰ الكبرىٰ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٨٦هـ.

٣٧. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي القِنَّوجي، ط: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، بَيروت، ط: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.

٣٨. فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني تحقيق: الدكتور عبد الرحمن عميرة، ط: دار الوفاء، المنصورة، ط٢: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٩. في ظلال القرآن، سيد قطب، ط: دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط١٧: ١٤١٢هـ.

٤٠. فيض القدير فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

٤١. القصيدة النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٢٨هـ.

٤٢. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ط: دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علىٰ بن أبي بكر الهيثمي، بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر، ط: دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤٤. مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميّة، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط:١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٤٥. مجموعة الرسائل والمسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، الناشر: لجنة التراث العربي

٤٦. محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤.

٤٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية - لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤٨. مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق وتعليق: عامر بن علي ياسين، الناشر: دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٤٩. المستدرك علىٰ الصحيحين، للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، ط: دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٥٠. مسند الإمام أحمد، الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ط: المكتب الإسلامي - بيروت، ط: ١٩٨٥م.

٥١. مشكاة المصابيح مع شرحه مرقاة المفاتيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط١٤٠٥،٣هـ - ١٩٨٥ م.

٥٢. مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

٥٣. معالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله نمر، ود. عثمان جمعة، وسليمان مسلم، ط: دار طيبة، الرياض، ط١: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٥٤. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ط: دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ هـ.

٥٥. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط: مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣ م.

٥٦. مفاتيح الغيب للإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

٥٧. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ط: دار ابن الجوزي، الرياض، ط١: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٥٨. الموطأ، مالك بن أنس، المحقق: محمد مصطفىٰ الأعظمي، ط: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط١: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٥٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٢ م.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٩

المطلب الأول: فضلُ آيةِ الكرسي ١٤

١- إخبارُ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بأنَّها أفضلُ آي الذكر الحكيم ١٤

٢- إخبارُ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بأنَّها تحفظُ مَن قرأَها من الشرورِ وتطردُ عنه الشياطين ١٦

٣- إخبارُ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بأنَّ من قرأها دبرَ كلِّ صلاةٍ كانت سببًا له في دخولِ الجنة..... ١٧

٤- اشتمالُها علىٰ اسمِ اللهِ الأعظمِ الذي ما دعا به عبدٌ إلا استجيبَ له ١٨

٥- اشتمالُها علىٰ أعظمِ المعاني التي جاء القرآنُ الكريمُ لبيانِها ١٩

٦- ترغيبُ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في كثرةِ قراءتها ٢٠

٧- تسميتُها باسمِ خاص "آيةُ الكرسي" يدل علىٰ عظمتها ٢١

المطلب الثاني: مناسبة آية الكرسي لما قبلها وما بعدها ٢٣

أ- مناسبة الآية لما قبلها ٢٣

ب- مناسبة الآية لما بعدها ٢٤

المطلب الثالث: المعنىٰ الاجمالي لآية الكرسي ٢٥

المطلب الرابع: الفوائد والهدايات من الآية ٢٧

الوقفة الأولىٰ مع قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ ٢٨

الوقفةُ الثانيةُ مع قولِهِ تعالىٰ: ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ ٣٠

الوقفةُ الثالثةُ مع قولِهِ تعالىٰ: ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ ٣٥

الوقفة الرابعة مع قوله تعالىٰ: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ٤١

الوقفةُ الخامسةُ مع قولِهِ تعالىٰ: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ ٤٥

الوقفة السادسة مع قوله تعالىٰ: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ ٥٣

الوقفة السابعة مع قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ ٥٥

الوقفة الثامنة مع قوله تعالىٰ: ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ ٥٩

الوقفة التاسعة مع قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ ٦٣

الوقفة العاشرة مع قوله تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ ٦٥

المطلب الخامس: التناسق الموضوعي في آية الكرسي ٧٣

الخاتمة ٧٨

فهرس المراجع ٨٣

فهرس الموضوعات ٩٣